
روايات مصرية للجيب
زهور
74
أشواك الحب
Looloo
www.dvd4arab.com
شريف شوقي
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

هذه السلسلة ..

عندما تتحوّل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحبّ الذى يروى هذه المشاعر .
فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب .. وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فتشيع عبيرها الفوّاح في ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرّك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ - ذكريات الماضى ..

أشارت (ميرفت) إلى سائق سيارتها قائلة :
- توقف هنا يا (إبراهيم) .
فسارع السائق بإيقاف سيارته قائلاً :
- أمرك يا هانم .
تطلعت (ميرفت) من نافذة السيارة لتتأمل المكان حولها بنظرة يمتزج فيها الحزن بالاشتياق .
بينما حدقت فيها صديقتها ، وفى عينيها ما ينم عن عدم رضائها قائلة :
- لكننا لم نصل إلى المنزل بعد .
تطلعت (ميرفت) إلى الحقول الخضراء الممتدة على جانبى الطريق قائلة :
- أعرف ذلك .
فسألتها صديقتها بضيق قائلة :
- إذن .. ما الداعى للتوقف الآن ؟
قالت (ميرفت) وهى تنظر إلى الساقية القديمة التى تآكلت أخشابها :

ـ ألم توحشك البلدة ؟
قالت لها صديقتها وهى تبدى امتعاضها :
ـ لا أظن أننى يمكن أن أفتقدها فى يوم من الأيام .
التفتت إليها قائلة :
ـ لماذا تبدين كل هذه الكراهية تجاه بلدتك ؟
قالت لها بتجهم :
ـ من الغريب أن تسألينى أنت عن ذلك .
ـ وما الغريب فى ذلك ؟
قالت لها صديقتها :
ـ لأنه كان يتعين عليك أن تكونى أول من يعرف الإجابة .
ـ ما أعرفه هو أن هذه البلدة هى التى نشأنا وترعرعنا بها ..
عشنا فيها طفولتنا .. وشبابنا .. لعبنا فى حقولها واستنشقنا هواءها ..
قالت لها :
ـ وهى البلدة أيضًا التى التقيت فيها بالإنسان الذى خان حبك وتخلى عنك .
صاحت (ميرفت) بانفعال قائلة :

ـ (نهلة) .. لقد قلت لك من قبل إننى لا أرغب فى سماع هذا الحديث .
ـ إذا كان حديثى عن هذا الأمر يؤلمك إلى هذا الحد .. إذن لماذا جئت إلى هنا ؟
لماذا تسعين وراء ذكرياتك المريرة هنا ؟
ـ أنا لا أسعى وراء شىء سوى الأرض التى ورثتها عن (كامل) ، أعتقد أن من حقى الآن أن أسترد هذه الأرض وأن أرعاها .
ـ أتخدعيننى أم تخدعين نفسك ؟ أنت تعرفين جيدًا أنك لست ممن يصلحون لتولى مسئولية زراعة أرض ، ولا علاقة لك بأمور الزراعة .
أنسيت أنك ألححت على (كامل) لكى تغادرا هذه البلدة ، وتسقرا فى (القاهرة) .. وكنت ترفضين دائمًا العودة إليها ؟
فما الذى طرأ الآن ؟ وما سر هذا الحب المفاجئ للبلدة وحقولها ، والأرض الزراعية وطينها ؟
احتدت (ميرفت) قائلة :
ـ (نهلة) . أنا لا أسمح لك بأن تحدثينى بهذا الأسلوب .

ـ أنا آسفة .. أعرف أنه ليس من حقى أن أتحدث إليك على هذا النحو ، باعتبارى أعمل لديك .. ولكنى أتحدث إليك الآن باعتبارى صديقتك .

صديقتك القديمة التى شاركتك طفولتك وصباك .. وظلت على إخلاصها لك دائمًا .

اسمعى كلامى ، ودعك من هذه الأرض وتلك البلدة .

انسيها وأسقطيها من حسابك ومن ذكرياتك تمامًا .

لديك عرض جيد بشأن شراء الأرض .. فانتهزى الفرصة ولا تضيعيها .

حاولى أن تتخلصى من كل ما يتعلق بميراث زوجك هنا .. الأرض والمنزل ، وعودى إلى حياتك التى اخترتها وتأقلمت معها .

إلى منزلك بـ(القاهرة) .. ويكفيك متجر الثياب الأنيق فى وسط المدينة لكى تديريه ، إذا كنت ترغبين فى التسلية وشغل وقتك .

ـ لا شأن لك بذلك .

ـ إننى أحاول أن أسدى إليك النصيحة .

ـ (نهلة) .. إننى لن أبيع الأرض .. والثلاثون فدانًا التى تركها (مجدى) ، سأشرف على زراعتها بنفسى .

ـ إذن سأضطر لمفارقتك .

نظرت إليها (ميرفت) قائلة :

ـ لا تكونى حمقاء .. أنت تعرفين أننى لن أسمح لك بذلك .

ـ وأنا لا أحب هذه البلدة .. ولا أطيق الحياة فيها .. فأنت تعرفين أن لى فيها ذكريات أشد مرارة وإيلامًا ، من الذكريات التى عشتها فيها .

تنهدت (ميرفت) قائلة :

ـ ومع ذلك يتعين علينا أن نتغلب على تلك الذكريات .. لقد جئنا إلى هنا ، لأنه يتعين علينا أن نكون أقوى من أحزان الماضى ، ولكى نثبت لأنفسنا أننا قد نسينا هذا الماضى تمامًا .. وأصبحنا امرأتين مختلفتين .

نظرت إليها (نهلة) وهى تبتسم فى مرارة قائلة :

ـ أتظنين أننا يمكننا أن ننجح فى ذلك ؟

ـ بالنسبة لى ، فأنا واثقة بأننى قد نجحت فى ذلك بالفعل .. وهذا ما جعلنى أعود إلى هذه البلدة مرة أخرى .

ـ أما أنا فأشك فى ذلك .

ـ لا يمكنك الحكم على ذلك .. إلا إذا اعتدت الحياة هنا .

- (ميرفت) .. إذا كنت مصرة على الاحتفاظ بالأرض ، فلا يوجد ما يدعو إلى بقائك بجوارها .

يمكنك أن تكلفى أى شخص برعايتها والإشراف عليها ، ولنبق نحن بعيدًا عن هنا .

- إننى لن أبقى بجوارها دائمًا بالطبع .. فلدىّ مصالحى فى (القاهرة) كل ما هنالك ، أننى أريد أن أنتهى من كل الإجراءات الخاصة بملكيتها . والبحث عن أفضل السبل ، لإعادتها إلى ما كانت عليه قبل وفاة المرحوم (كامل) .

ثم أتفق بعد ذلك مع شخص يمكننى أن أمنحه ثقتى ، لكى يتولى مسئوليتها والإشراف على زراعتها .

وبعد ذلك قد نكتفى ببضعة أيام نقضيها هنا كل بضعة أشهر أو كلما شعرنا بحاجة لقضاء إجازة .

- لكن كل هذا سيستغرق وقتًا طويلاً .

- أظن أننا نستطيع أن ننتهى من هذا الأمر خلال بضعة أسابيع .. والآن هلا كففت عن إزعاجى ؟

وتحولت إلى سائق السيارة قائلة :

- استمر فى القيادة يا عم (إبراهيم) .

عادت (ميرفت) لتحدق فى الحقول الخضراء على

جانبى الطريق ، وتتأمل الأشجار وجداول الماء ، وهى تسترجع أحداث الماضى وذكرياته فى مخيلتها .. إنها تعرف جيدًا أنها كاذبة فيما تدعيه .

بل إنها تكذب حتى على نفسها .

فهى لم تنس .. ولم تستطع السنوات الخمس التى ابتعدت فيها عن هذه البلدة ، أن تجعلها تنسى (مجدى) .

ظنت أنها قادرة على ذلك .. بل إنها كانت واثقة من ذلك ، وهى تغادر هذه البلدة برفقة زوجها .

لكن الأيام والسنين لم تستطع أن تمحوه من ذكرياتها .. برغم كل ما فى هذه الذكريات من آلام ومرارة .

وأخذت تتساءل فى حيرة ، وهى تقترب من منزل زوجها .

لماذا عادت إلى هنا مرة أخرى ؟

أمن أجل الأرض التى ورثتها عن زوجها حقًا ؟

أم من أجل أن تثبت لنفسها ، أنها تستطيع أن تتغلب على ذكريات حب قديم عاشته فى هذه البلدة ؟

وأنها يمكنها أن تتعايش مع حاضر جديد بلا حساسية ، أم أنها تحاول أن تخدع نفسها .. وكل

ما تهدف إليه من هذه العودة ، هو أن تكون قريبة من (مجدى) ، الحبيب الذى تخلى عن حبها ذات يوم ، وضحى بكل المشاعر العميقة التى جمعت بينهما ، أو التى كانت تظن أنه يبادلها إياها ، وأنه مخلص لها حقًا ؟

لقد تعذبت طويلاً بعد رحيلها عن هذا المكان . ليس من أجلى تخلى (مجدى) عن حبه لها فقط .. وخيانته لها .

ولكن لأنها لم تستطع أن تنتزعه تمامًا من قلبها وعقلها .

برغم كل المقاومة والجهد اللذين بذلتهما فى سبيل ذلك .

فقد جعلها ذلك تشعر بأنها ليست وفية تمامًا للشخص الذى تزوجته .

حقًا أنها لم تلتق بـ(مجدى) أو تراه منذ أن رحلت عن هذه البلدة .. ولم تحاول ذلك مطلقًا .

لكنها لم تستطع أن تمحوه من ذكرياتها التى كانت تعاودها من آن لآخر .

ولم تتمكن من مقاومة حنين مشاعرها إليه ،

بالرغم من كل مشاعر الغضب والألم ، التى عاشتها بعد تخليه عنها وعن حبهما .

كان فى مخيلتها فى تلك الأيام ، أنها قادرة على أن تبعده عن حياتها ومشاعرها تمامًا بعد فترة من الوقت .

وأنها بعد زواجها من (كامل) تستطيع أن تودع هذه الفترة الأليمة ؛ وتلقى بهذه الصلة التى تربطها بـ (مجدى) وراء ظهرها .

لكنها لم تنجح فى ذلك على النحو الذى تصورته .

لم تنجح فى أن تحب زوجها ، على النحو الذى يعوضها وينسيها حبها لـ (مجدى) .. بالرغم من كل المحاولات التى بذلها فى سبيل ذلك .

وبرغم أنه لم يأل جهدًا فى سبيل إرضائها وسعادتها .

لقد كانت زوجة وفية ومخلصة .. لكنها لم تكن زوجة محبَّة ..

كما أنها كانت تشك فى إخلاصها هذا ، وتتألم من أجل هذا الشك ، كلما استرجعت ذكرياتها القديمة مع (مجدى) .

وكلما أدركت أنه كان هو الحب الوحيد فى حياتها .

والآن لماذا جاءت إلى هنا ؟

أتريد أن تزيد النار اشتعالاً فى جوانحها ؟

أم تريد أن تثبت أنها قد تمكنت من إطفائها .. وأن جذوة اللهب التى أحرقت صدرها قد أصبحت خامدة ؟

لكن لماذا كل هذه المخاوف ؟ وكل هذه الحيرة ؟

ربما لن تلتقى به خلال وجودها فى البلدة .

وربما تحول الظروف دون ذلك .

أو يكون قد غادر البلدة مع زوجته ؟

عليها أن تنزع من نفسها ، إحساسها بأنها قد جاءت لتثبت شيئًا ما . وألا تفكر إلا فى الأرض التى جاءت من أجلها .

تنبهت (ميرفت) على صوت صديقتها وهى تكرر عليها النداء قائلة :

- (ميرفت) .. لقد وصلنا إلى المنزل .. ألن تغادرى سيارتك ؟

* * *



٢ - صوت الضمير ..

وضعت (ميرفت) قدميها خارج السيارة وهى تنظر إلى المنزل الذى كان يمتلكه زوجها ، والذى آل إليها بحكم الميراث .

كان المنزل عبارة عن فيلا أنيقة تحيطها حديقة جميلة .

ويعد أحد المنازل المميزة فى البلدة ، بجمال تصميمه ، ومظهره الأنيق .

لقد ورثه (كامل) عن أبيه وأنفق عليه مبلغًا كبيرًا من المال ، لكى يبدو مميزًا على هذا النحو .

طالما أتت إلى هنا لتتأمل هذا المنزل بإعجاب ، وهى طفلة وصبية صغيرة لتراودها الأحلام بأن تقطنه يومًا ما .

وعندما كبرت ، لم تظن أن هذا سيحدث فى يوم من الأيام ، وإنما سيبقى دائمًا فى دائرة الأحلام التى يحلو للمرء أن يتخيلها ويحياها من آن لآخر .

ولكن ها هو ذا حلمها قد تحقق ، وأصبح هذا المنزل ملكًا لها .. بل وملكًا لها وحدها بعد وفاة زوجها .

كان من الغريب أن ترفض أن تعيش فيه ، بعد زواجها من (كامل) ، بالرغم من أنها حلمت بذلك .

لكن رفضها أن تعيش فى هذا المنزل ، كان جزءًا من رفضها للاستمرار فى الحياة في البلدة بأسرها .

فلم تكن تريد أن تبقى فى أى مكان يذكرها بـ(مجدى) .

وها هى ذى تعود بملء إرادتها ، إلى البلدة التى رحلت عنها ، وإلى المنزل الذى أحبته ورفضت أن تعيش فيه ، وإلى كل ما يبعث فيها الذكريات من جديد .

استقبلها القائمون على خدمة المنزل بترحاب ، وهم يسارعون بنقل حقائبها من السيارة .

بينما رأت شخصًا ضخم الجثة ، كثيف الشارب ، يرتدى جلبابًا وعباءة سوداء داكنة ، يقبل عليهما محييًا ويصافحها قائلاً :

- حمدًا للّه على السلامة يا (ميرفت) هانم .

وسرعان ما تعرفته .. فقد كان (منصور العدوى)

ابن خال زوجها .. واستغربت وجوده فى المنزل ، وعلمه بموعد وصولها .

صافحته ببرود قائلة :

- أهلاً يا حاج (منصور) .

- أهلاً بك يا ست الكلّ .

ومد يده مصافحًا (نهلة) ، وعلى وجهه ابتسامة مصطنعة قائلاً :

- حمدًا للّه على السلامة ياست (نهلة) .

أومأت إليه برأسها قائلة وهى تصافحه :

- أهلاً يا حاج (منصور) .

- نورتم البلد .. إننى بمجرد أن عرفت أنكم ستشرفوننا اليوم ، جئت إلى هنا على الفور لكى أكون فى استقبالكما .

قالت (ميرفت) :

- شكرًا يا حاج .. تفضل .

- أكثر اللّه من فضلك يا هانم .. لقد أشرفت بنفسى على تنظيف وإعداد منزل المرحوم ، لكى يكون جاهزًا لاستقبالكما ومهيئًا لراحتكما .

وأسرع يتقدمهما ، وهو ينادى إحدى الفتيات الصغيرات قائلاً :

- هيا يا بنت يا (خضرة) .. افتحى نافذة حجرة الضيوف .

قالت له الفتاة الصغيرة :

- حاضر يا با الحاج .

ونادى صبية أخرى ، كانت تهبط درجات السلم المؤدى إلى الدور العلوى قائلاً :

- وأنت يا بت يا (سعاد) هل انتهيت من إعداد حجرة النوم لـ (ميرفت) هانم ؟

أجابته قائلة :

- نعم يا با الحاج .

سألها قائلاً :

- وهل انتهيتم من ذبح الدجاج والبط وإعداد طعام الغداء ؟

قالت له الفتاة وهى تهرع إلى المطبخ :

- حالاً يا حاج سيكون جاهزًا .

التفت إلى (ميرفت) والابتسامة على وجهه قائلاً :

- أما الفطور فقد جئت به معى من منزلى ، قشطة وعسل وجبن وفطير مشلتت .. لابد أنك قد اشتقت للفطير المشلتت صناعة بلدنا .. أليس كذلك يا ست (ميرفت) ؟

قالت له (ميرفت) بارتباك :

- بالطبع .. ولكن لماذا كل هذا التعب يا حاج ؟

قال لها (منصور) محتجًا .

- لا تقولى هذا يا هانم .. تعبك راحة .. إننى فى خدمتك ..

أنت زوجة المرحوم (كامل) .. و(كامل) لم يكن ابن عمتى فقط ، بل كان بمثابة الأخ لى .. وبالتالى فإن زوجته هى أخت لى ، وواجبى أن أقوم على خدمتها أنا وكل من معى .

هزت رأسها قائلة :

- أشكرك يا حاج (منصور) .

سارع بهزّ رأسه قائلاً :

- العفو يا هانم .

ثم أطلق تنهيدة قصيرة ، وقد رسم على وجهه تأثرًا مصطنعًا وهو يقول :

- الله يرحمك يا (كامل) يا بن عمتى .. لقد ترك رحيله أثرًا كبيرًا فى نفوسنا .

لقد كان الكل يحبه هنا ويحلفون بحياته .. وكان رجلاً لا يعوّض .

ربنا يحسن إليه ويسكنه فسيح جناته .

تدخلت (نهلة) لتنهى هذا الحديث قائلة :

- تفضل لتناول الإفطار معنا يا حاج (منصور) .

وضع يده على صدره قائلاً :

- أشكرك يا ست (نهلة) .. بالهناء والشفاء .. لقد جئت فقط لتحيتكم والاطمئنان على سلامتكم .. وإن شاء الله سوف آتى لزيارتكم أنا والحاجة غدًا .

قالت (ميرفت) وهى تصحبه إلى الباب :

- تشرف يا حاج .

وما إن انصرف حتى أبدت دهشتها قائلة لصديقتها :

- شىء غريب .. هذا الرجل لم يكن على وفاق مع (كامل) فى أثناء حياته ، ولم يزرنا طوال فترة زواجنا سوى مرة أو اثنتين .. فلماذا ظهر كل هذا الاهتمام فجأة ؟ وما سرُّ هذه الحفاوة والترحيب الزائدين عن الحد ، اللذين يبديهما نحونا ؟

ثم من طلب منه أن يأتى إلى المنزل فى غيابى ، ويتولى بنفسه الإشراف على نظافته وتجهيزه لاستقبالنا .. وكأنه يمتلك هذا المنزل ؟

- ربما .. يحاول إثبات حسن نواياه .. وإبداء بعض

الشهامة تجاه أرملة ابن خاله كعادة بعض الرجال هنا .

- لا أظن أنه من هذا النوع الذى يتحلى بالشهامة .. أنا أيضًا لم ارتح إليه مطلقًا .

- على أية حال .. من الأفضل ألا نحاول اكتساب عداوته .. فربما احتجت إليه فى أحد شئونك هنا .

- حسن .. إننى لن أستطيع أن آكل شيئًا .. تناولى أنت الفطور ، وسأصعد أنا إلى حجرتى لأستريح .

- ومن قال لك إننى بحاجة إلى الإفطار ؟ لقد قلت ذلك فقط لأنهى هذا الحديث الثقيل ، الذى رأيت آثاره على وجهك ، ولكى يبادر الرجل بالانصراف .. فأنا أتوق مثلك إلى النوم .

★ ★ ★

تقلبت (نهلة) فى فراشها ، وهى تفكر فيما يمكن أن تحمله عودتها إلى هذه البلدة من متاعب ، وما يمكن أن تنكأه من جراح جديدة .

وتساءلت وهى تضع يدها خلف رأسها :

- ترى .. هل سترى (مجدى) مرة أخرى ؟

وما الذى يمكن أن يفعله لقاؤها به ؟

نعم .. لم تكن (ميرفت) فقط هى التى تترقب وتخشى مثل هذا اللقاء .

فهى أيضًا تترقبه وتخشاه .. لقد حاولت أن تثنى (ميرفت) عن هذه العودة .. لأنها كانت تخشى أن تتجدد ذكرياتها الأليمة . ويستيقظ ضميرها المعذب .. فأرادت أن تبتعد وأن تنأى بنفسها عن كل ذلك .. لولا إصرار (ميرفت) .

ولكن ضميرها لم ينم قط ولم يشعر براحة طوال السنين الماضية لقد ظل يعذبها ويطاردها .. كل هذه السنين .. برغم كل المبررات التى استخدمتها ، وحاولت أن تستخدمها لكى تبرر تصرفها .. وتمنعه من محاسبتها .

ظنت أنها قد نجحت أحيانًا .. لكنها كانت تكتشف دائمًا أنها كانت واهمة فى ظنها .

وها هى ذى قد عادت إلى هذه البلدة ، التى عاشت وتربت فيها ، والتى شهدت حبها الوحيد .. حبها الذى سبب لها كل ما عانته من ألم ، ودفعها إلى خيانة صديقتها الوحيدة .

عادت لتجد أن ضميرها يهزها بعنف . وأن أشباح الماضى عادت لتتراقص أمامها .

وتقلصت ملامحها وهى تقول لنفسها :

ـ لماذا قبلت أن أعود إلى هذه البلدة اللعينة ؟

لقد عوملت هنا أسوأ معاملة .. وأبى المسكين رحل عن هذه الدنيا . تملأ الحسرة قلبه ، بعد أن ذاق الأمرين من أهلها .

فقد هربت أمى واضطر إلى طلاقها ، بعد أن خلفت له العار ، وأصبح موضع سخرية واستهزاء أهل البلدة .

ولم يكن هو وحده الذى ذاق طعم الخزى والألم ، بعد فعلتها الشنعاء ، لكنها تركتنى لأحمل وزرها فوق كاهلى أيضًا وأنا فى سن صغيرة .

ذقت طعم السخرية والإهانة من كل كبير وصغير .. حتى أصبحت أكره الخروج من المنزل ، والذهاب إلى المدرسة .

وكان كثيرًا علىَّ بالطبع .. أن أحلم بأن يبادلنى (مجدى) الحب الكبير الذى حملته له .

لكنى لم أستطع أن أتوقف عن الحلم .. كما لم يكن باستطاعتى أن أتوقف عما أحمله له من حب .

وتنهدت وهى تردف قائلة لنفسها :

ـ ولم أتمكن أيضًا من أن أمنع نفسى عن الحقد .

الحقد الذى تغلغل فى أعماقى ، منذ أن أصبحت أنا وأبى موضعًا للإهانة والمعايرة فى هذه البلدة .

ونما مع عجزى عن أن أحظى بالحب الذى تمنيته .

ونما أكثر عندما وجدت الشخص الوحيد الذى أحببته ، يحب فتاة أخرى ، يحب صديقتى ويوشك أن يتزوج منها .

إن الحقد شىء كريه .. فظيع .. وحش يتغلغل فى أنفسنا .

وحش لا نستطيع التغلب عليه أو إبعاده عنا ما دمنا قد سمحنا له أن يتسلل إلى صدورنا .

ذلك الحقد يدفع المرء إلى كراهية الآخرين ، والعمل على إيقاع الأذى بهم .

وقد ينتهى إلى أن يكره المرء نفسه .. ودائمًا ينتهى بإيذاء صاحبه .

ارتجفت فى فراشها وهى تقول لنفسها .

ـ لا .. لا يمكن أن أكون بهذه الصورة البشعة ، التى أحاول أن أصور بها نفسى .

إننى أبالغ فى تعذيب نفسى .. وهذا يعنى أن ضميرى ما زال حيًا .

وأننى لست سيئة إلى هذا الحد .

نعم .. إننى لم أحاول أن أوذى أحدًا .. إن ما فعلته كان لمصلحة الجميع .

وأخيرًا تمكنت من النوم .

لكنه كان نومًا مضطربًا .. تتخلله رجفات من آن لآخر بجسدها .

وسرعان ما استيقظت من نومها مذعورة وهى تشعر بالاختناق . فقد رأت كابوسًا مخيفًا :

رأت نفسها تمرّ بين أشجار جرداء متشابكة .. والرياح تصفر حولها .

وفجأة امتدت عشرات الأيدى من بين الأشجار ، تحاول أن تمسك بها ، وتشل حركتها .

حاولت أن تهرب ، وكلما أسرعت الخطا ، تجد عشرات من الأيدى التى تحاصرها وتكاد أن تطبق عليها .

أيدى لها أظفار تشبه المخالب .

أرادت أن تصرخ فلم تستطع ، واحتبس صوتها فى حلقها .

أرادت أن تسرع الخطا فوجدت نفسها عاجزة عن

متابعة الطريق ، وما لبثت أن هوت على ركبتيها .. وهى تستسلم لمصير مفزع ومخيف .

وازداد ارتجاف جسدها ، بعد أن استيقظت من هذا الكابوس .

ووجدت صوتها ما زال محتبسًا فى حلقها .. وعاجزًا عن النطق .

وما إن هدأت نفسها قليلاً .. حتى دفنت وجهها بين كفيها ، وقد تدفقت العبرات من عينيها لتبلل وجنتيها .

★ ★ ★



٣ - زوجة محبة ..

دخل (مجدى) بصحبة زوجته إلى فيلته الأنيقة ، حيث أسرع بالاسترخاء فوق أحد المقاعد وهو يطلق زفرة طويلة قائلاً :

- أخيرًا .. وصلنا .. لقد كان السفر مرهقًا للغاية هذه المرة .

قالت له زوجته معاتبة :

- الحق عليك .. أنت الذى أصررت على أن تتولى القيادة بنفسك المسافة كلها ، ولم تسمح لى بأن أشاركك القيادة .

ابتسم قائلاً :

- يا (نجوى) ، يا حبيبتى .. لو تركت القيادة لك ، كنا سنصل بعد ساعة من الآن .. فأنا أعرف قيادتك المتأنية أكثر من اللازم .

قالت له بدلال ، وهى تحيط عنقه بذراعيها :

- أليس هذا أفضل من قيادتك المتهورة ؟

ـ عليك أن تعترفى بأن قيادتى المتهورة هذه كما تسمينها ، هى التى جعلتك تصلين فى هذا التوقيت قبل أن يتأخر بنا الوقت .

قالت له وهى ترفع يديها عن عنقه لتجلس بجواره :

ـ لا أدرى ما الذى جعلك متعجلاً للعودة هكذا ؟

نظر إليها بدهشة قائلاً :

ـ متعجلاً للعودة ؟ مصالحنا يا (نجوى) .. هل نسيت أن لنا مصالح هنا يتعين علينا مراعاتها ؟

ـ لدينا بدل الشخص عشرة ، يمكنهم أن ينوبوا عنا فى ذلك .

إننى لا أدرى لماذا تحمل نفسك فى العمل أكثر مما تحتمل ؟

ـ إنه مالك يا (نجوى) .. الذى يتعين علىَّ مراعاته .. وأنا لا أستطيع أن آتمن أحدًا عليه سواى .

وضعت أصبعها على شفتيه ، وهى تهمس له قائلة :

ـ لقد قلت لك من قبل ، إنه لم يعد مالى وحدى .. إن كل ما لدى وكل ما أمتلك وأنا نفسى ملكك يا حبيبى .

ابتسم لها قائلاً :

ـ إذن يتعين علىَّ أن أحافظ على الأمانة التى أصبحت فى حوزتى .

ـ ولكن ليس على حساب نفسك .. وحياتنا .

ـ ألم يكفك أسبوع فى الإسكندرية ؟ أظن أننا قد قضينا وقتًا طيبًا ، واستمتعنا بالقدر الكافى ، بكل ما هو جميل فى الإسكندرية .

ـ حقًا .. لقد كان أسبوعًا رائعًا .. لكنه بالنسبة لى لم يكن كافيًا على الإطلاق .

كنت أظن أننا سنقضى شهرًا هناك .

ضحك قائلاً :

ـ شهرًا !! ومن الذى يتولى الإشراف على الأرض والمزرعة ووضع العلف ؟

قالت له محتجة :

ـ هل ستكلمنى مرة أخرى عن المصنع والأرض والمزرعة ؟ ألا تفكر إلا فى العمل فقط ؟ ألا ترى أن الحياة بها ما هو أهم من هذا التفانى الشديد فى العمل ؟

نظر إليها قائلاً :

ـ إن ما يدهشنى هو أننى عندما التقيت بك ، وجدتك سيدة أعمال من الطراز الأول .

كنت تعملين بمقدار عشرة رجال .. وكنت أكثر تفانيًا منى فى رعاية مصالحك وأعمالك .. فما الذى طرأ عليك ؟

نظرت إليه بعينين تتدفقان عاطفة قائلة :

ـ من قبل كان الأمر مختلفًا .. كنت سيدة وحيدة . كل حياتها منحصرة فى رعاية أعمالها وأرضها كما تقول ، وفى النهاية تعود إلى منزلها الموحش .. لتقضى ليلها بين جدران صماء .

كانت رعايتى لمالى وأرضى هى سلوتى الوحيدة .

وازداد صوتها حنوًا وهى تمسح بيدها على شعره قائلة :

ـ لكننى عرفتك .. وأحببتك .. وجدت فيك الحبيب والزوج الذى تمنيته دائمًا .

وجدت قيمة أخرى لحياتى غير المال والأرض والمزرعة .

قيمة أحرص عليها أكثر من أى شىء آخر .

لقد أصبحت بالنسبة لى أهم شىء ، وأغلى شىء فى حياتى .. وما عدا ذلك لم يعد يهمنى كثيرًا .

تناول يدها بين يديه بلطف قائلاً :

ـ ألا ترين أنك تفرطين فى تدليلى ؟

قالت له بعاطفة حقيقية :

ـ إن هذا أقل مما تستحقه يا (مجدى) .. ليتنى أستطيع أن أمنحك السعادة بقدر ما أحمله لك من حب .

ـ لكنك أسعدتنى حقًا يا (نجوى) .

ـ أتقول هذا من قلبك ؟

ـ يكفينى تلك المشاعر الجميلة التى تمنحيننى إيَّاها .

ـ مهما فعلت فسوف أظل أشعر بأننى مدينة لك .

نظر إليها باستغراب قائلاً :

ـ مدينة لى ؟! أنت !؟ لقد كنت فقيرًا معدمًا .. وأصبحت الآن بفضلك من الأعيان ، و ...

وضعت يدها على فمه لتقاطعه قائلة :

ـ إن تلك الأشياء التى تريد التحدث عنها ، لا تساوى شيئًا .

فأنا مدينة لك بعمرى وسعادتى .

ابتسم قائلا :

ـ إن من يرانا الآن لا يمكن أن يتصور أننا زوجين .. وإنما سيعتقد أننا ..

قاطعته مرة أخرى قائلة :

ـ حبيبين .. هل أنت من أنصار التعارض بين الحب والزواج ؟

هز كتفيه قائلاً :

ـ كلا بالطبع .. لكننى أظن أن الزواج يجعل المشاعر أكثر نضجًا ، والعاطفة أكثر هدوءًا .

قالت له وهى تقبل يده :

ـ لكننى أفضل أن تكون المشاعر أكثر رومانسية .. وسأبقى دائمًا بالنسبة لك الحبيبة ، قبل أن أكون الزوجة .

وفى تلك اللحظة دخلت عليهما الخادمة حيث فوجئت برؤيتهما ؛ فأخفت وجهها وراء طرحتها ، وهى تنظر إلى الجهة الأخرى قائلة فى خجل :

ـ الهانم وسيدى البيه ؟ حمدًا لله على سلامتكما .

ابتسم (مجدى) قائلاً :

ـ أزيك يا (زينب) .

ـ تسلم يا بك .

سألتها (نجوى) قائلة :

ـ ما أخبار المزرعة ؟

ـ كل الأمور على ما يرام يا سيدتى .

ـ وأين عويس الخفير ؟ لماذا لم نجده حينما أتينا إلى الفيلا ؟

ـ عويس ؟ أظن أنه ذهب لشراء سجائر .

وما لبثوا أن سمعوا صوت الخفير الجهورى وهو يهتف قائلاً :

ـ من هناك ؟ من الذى دخل إلى الفيلا ؟

وما لبث أن تقدم إلى الداخل ، حاملاً بندقيته ومكشرًا عن أنيابه .

وما إن رأى أصحاب المنزل بالداخل حتى هدأت ملامحه ، وانفرجت أساريره وهو يحييهما قائلاً :

ـ أهلاً (مجدى) بك .. حمدًا لله على السلامة يا هانم .. نورتم المنزل ..

قالت له (نجوى) بغضب :

ـ دعك من هذا وقل لى ، لماذا تركت الفيلا ، ولم تكن موجودًا حينما حضرنا .

قال لها بارتباك :

ـ لقد .. لقد .. كنت ..

ابتسم (مجدى) قائلاً وهو يحاول أن يرفع الحرج عن الرجل :

ـ خلاص يا (نجوى) .. فلنسامحه هذه المرة .

ثم تحدث إليه قائلا :

ـ عد لمكانك ، وحذار من الابتعاد عن الفيلا مرة أخرى .. خاصة عندما لا نكون بها .

رفع الرجل يده أمام جبهته قائلاً :

ـ أمرك يا بك .. آسف .. لن تتكرر مرة أخرى .

راقبه (مجدى) ضاحكًا وهو ينصرف وقد تصبب عرقًا ، بينما ابتسمت (نجوى) قائلة :

ـ لا أدرى ما الذى جعلنى أعين هذا الشخص خفيرًا لحراسة فيلتى ؟

قالت لها خادمتها سريعًا :

ـ واللّه يا هانم .. عويس شخص غلبان .. وبيقوم بعمله على أكمل وجه :

نظرت إليها (نجوى) قائلة :

ـ طبعًا .. فأنت واضعة عينك عليه .. نفسك إنه يتجوزك .

قال (مجدى) .

ـ أعدى لنا شيئًا لنأكله يا (زينب) .

أسرعت الخادمة إلى المطبخ قائلة :

ـ حالاً يا بك .

وبينما كانت تضع الأطباق أمامهما ، سألتها (نجوى) قائلة :

ـ وما هى أخبار البلد ؟

وكأنها بذلك قد أطلقت لها المجال لكى تثرثر .. فانطلقت الفتاة تتحدث عن كل كبيرة وصغيرة .

قال لها (مجدى) :

ـ حسن .. هذا يكفى يا وكالة الأنباء المتنقلة .. دعينا الآن نتناول طعامنا فى هدوء .

لكن الفتاة لم تتوقف .. بل أكملت قائلة :

ـ والست (ميرفت) زوجة المرحوم (كامل المطراوى) عادت إلى البلدة بالأمس .. وقد سمعت أنها تنوى بيع الأفدنة التى ورثتها عن المرحوم زوجها .

توقف (مجدى) عن تناول الطعام ، وقد اضطربت ملامحه لدى سماعه ذلك .

وكذلك كانت حالة زوجته ، التى سقطت الملعقة من يدها ، وبدا كما لو أن الفتاة قد أطلقت شرارة كهربائية ، سرت إلى جسديهما فى هذه اللحظة ، فأصابتهما برعشة قوية .

★ ★ ★



٤ - لقاء الحب ..

سألته بعد أن انتهيا من طعامهما قائلة بانفعال :

- ألهذا ألححت فى عودتنا من الإسكندرية ؟

نظر إليها بدهشة قائلاً :

- ماذا تعنين ؟

لكنها سألته وهى ترمقه بنظرة فاحصة قائلة :

- هل كنت تعرف أنها ستعود إلى البلدة بالأمس ؟

قال لها منفعلاً :

- هل جننت ؟ ماذا يدور فى ذهنك ؟

قالت له بحدة :

- أجب عن سؤالى .. هل كنت تعرف ؟

- بالطبع لم أكن أعرف .. وكيف يمكننى أن أعرف شيئًا كهذا ؟

- إذن لماذا كنت مصرًا على عودتنا اليوم .. برغم أننا كنا متفقين ، على أن نقضى أسبوعين كاملين فى الإسكندرية ؟

قال لها بضيق :

ـ لأن المصالح التى تخصنا كانت تقتضى ذلك .. ثم إننى بدأت أملَ من بقائى فى الإسكندرية .

قالت له وفى عينيها نظرة ارتياب :

ـ هل هذا هو كل ما فى الأمر حقًا ؟

ـ أنا لا أحب نبرة الارتياب هذه التى تبدو فى صوتك .

ـ اعذرنى يا مجدى .. أنت تعرف ..

قاطعها قائلاً بحدة :

ـ أعرف ماذا ؟ لقد قضيت وقتًا طويلاً لأؤكد لك أن هذه الفتاة لم يعد لها وجود فى حياتى .

لقد تزوجتْ من شخص آخر كما تزوَجتك .. وأصبح لكل منا حياته ، كما أصبح ما كان بيننا جزءًا من الماضى .

قالت له ونبرة قلق ما زالت تسرى فى صوتها :

ـ لكن زوجها قد توفى .. وأنت تعرف ذلك .

ـ وما الذى يعنيه ذلك فى رأيك ؟

ـ لقد كنت تحبها .

ـ هأنتذى قد قلتها .. كنت أحبها .. أما الآن فإن حبى هو لزوجتى .

ـ ليتنى أثق بصدق ذلك .

قال لها معاتبًا :

ـ هل سنعود إلى هذا الحديث مرة أخرى ؟ ماذا أفعل لكى تتأكدى من صدق حبى لك ؟

ـ آسفة .. ولكنى أحيانًا أشعر بأننى لم أتمكن من الوصول إلى قلبك بعد .

أمسك بذراعيها قائلاً :

ـ على أىَ أساس بنيت هذا الاعتقاد ؟.. هل صدر منى فعل أو تصرف ما ، يستدعى ألا تثقى بى هكذا ؟

ـ لا يمكننى أن أقول ذلك .. لكننى أظن أن مشاعرنا مازالت متباعدة .

ـ إن خيالك هو الذى يصور لك ذلك .

ـ ليت هذا يكون صحيحًا .

غادر (مجدى) منزله متجهًا إلى مصنع العلف .. وقد أطلق العنان لانفعالات شتى كى ترتسم على وجهه .

تلك الانفعالات التى جاهد لكى يخفيها عن زوجته .

حدَق فى الطريق وهو يقود سيارته .. وصورة (ميرفت) تتراقص أمام عينيه .. وتجعل معالم الطريق غير واضحة أمامه .

نعم إن زوجته محقة فيما قالته .. فقد أثار هذا الخبر اضطرابه ، ونكأ جراحًا لم تندمل بعد .

إنها أعادته إلى الماضى الذى أراد الهرب منه .

واضطر إلى أن يوقف السيارة بعد أن أصبح مشتت الفكر .

وقد عادت به الذكرى إلى تلك الأيام الجميلة التى جمعته بـ (ميرفت) .

كانت الساقية القديمة هى أول مكان التقيا فيه .

كانت فى الرابعة عشرة من عمرها ، وكان يكبرها بثلاث سنوات .

وقتها كان يجول فى الحقول ، حاملاً كتابه الدراسىّ ، وهو يحاول أن يستذكر بين هذه الطبيعة الخلابة .

ووجدها جالسة بجوار الساقية تفعل الشىء نفسه .

كانت مرتكزةً برأسها إلى جذع شجرة ضخمة ، وهى ممسكة بكتابها ، وعيناها مركزتان على السطور .

بينما انساب شعرها الذهبى الناعم فوق كتفيها .. وقد اكتست بشرتها بلون خمرى رائع .

لحظتها وقف يحدق فيها مبهورًا .. كما لو كان قد رأى ملاكًا يهبط من السماء ، ليجلس إلى جوار هذه الشجرة فى صفاء وسكينة .

خشى أن تراه .. فوقف يختلس النظر إليها من وراء إحدى الأشجار . وقد أحس بسعادة كبيرة ؛ لأنه حظى برؤية هذه الفتاة الرائعة .. ظل كامنًا فى مكانه وقد مر به الوقت دون أن يشعر به .. فقد شغلته عن أى شىء آخر عداها .

ورآها وقد تثاقل جفناها تدريجيًّا ، وأخذت يداها تتراخيان بجوارها ، حتى سقط منها الكتاب واستسلمت للنوم .

فشجعه ذلك على أن يغادر مكمنه ، ويخطو بخطوات هادئة نحوها ، لكى يراها عن قرب .

وبالفعل اقترب من مكانها ، ليتوقف أمامها ، متأملاً هذا الجمال النائم ، وقد بدت له ملامح وجهها ، وكأنها نحتت بيد فنان قدير .

كان مستعدًا أن يبقى واقفًا فى مكانه ساعات طويلة ، دون أن يشعر بضيق أو ملل .

وتعجب ، كيف أنه لم ير هذه الفتاة من قبل ، أو يعرف بوجودها فى قريته ؟

وكيف يمكن لفتاة مثلها ، أن تستحوذ وحدها على كل هذا القدر من الجمال ؟

وفجأة صاح أحد الطيور بصوت عال .. فاستيقظت الفتاة من نومها .

وعندما رأته واقفًا أمامها هكذا ، هبت واقفة سريعًا ، وقد اعتراها اضطراب شديد .

فسارع لتهدئتها قائلاً :

ـ لا تخافى .. إننى لن ألحق بك أى أذى .

سألته قائلة بعصبية شديدة :

ـ من أنت ؟ وماذا تفعل هنا ؟

أجابها قائلاً :

ـ لقد كنت أمر هنا مصادفة .. عندما رأيتك نائمة .

سألته قائلة وهى تتراجع خطوتين إلى الوراء ؟

ـ ولماذا كنت واقفًا تحدق فىَ هكذا ؟

أجابها قائلاً :

ـ لم أستطع أن أمنع نفسى من ذلك .

حاولت أن تنصرف .. لكنه استوقفها قائلاً :

ـ آسف إذا كنت قد سببت لك أى اضطراب .. هل أنت من بلدتنا ؟

أجابته قائلة بصوت خافت :

ـ نعم .

ـ لكنى لم أرك هنا من قبل .

هزت كتفيها قائلة وهى تنظر إليه .

ـ وأنا أيضًا لم أرك من قبل .

ـ ابنة من فى البلدة ؟

ـ (عفيفى السيد أحمد) .

أخذ يردد الاسم ، وهو يحاول أن يتذكر .. ثم ما لبث أن قال وقد تذكر فجأة :

ـ (عفيفى السيد أحمد) . آه تذكرت .. إن لديكم منزلاً صغيرًا فى الجهة القبلية من البلدة .

قالت له سريعًا وكأنها تفتخر بما يمتلكه أبوها .

ـ وفدان أرض .

ابتسم قائلاً :

ـ آه .. بالفعل .. لقد تذكرت .. لقد كان والدك صديقًا لأبى قبل وفاته .

وقد رأيته عدة مرات وهو يأتى لزيارتنا .. ولكنى كنت صغيرًا وقتها لم يتعدَّ عمرى ست أو سبع سنوات تقريبًا .

سألته قائلة وكأنها تعتذر :

- هل والدك متوف ؟

أجابها قائلاً :

- نعم توفي وعمرى ثمانى سنوات فقط .
- رحمه الله .. وهل لك أخوات ؟
- نعم .. ثلاث فتيات .. تزوجت كبراهن فقط .. وبقيت الأخريان أمانة فى عنقى بعد وفاة والدى .
- هل ورثت أرضًا عن أبيك ؟

ابتسم (مجدى) فى مرارة قائلاً :

- بضعة قراريط مستأجرة هى التى نقتات منها .. وأنفق منها على دراستى .
- فى أى سنة دراسية أنت ؟

أجابها قائلاً :

- فى الثانوية العامة .

ثم أردف قائلاً :

- وأنت ؟
- فى الصف الأول الثانوى .
- ولكن ما الذى جاء بك إلى هنا ؟
- كنت أجول فى البلدة .. وأعجبنى هذا المكان لأستكمل مذاكرتى فيه .
- هل هذه أول مرة تأتين فيها إلى هنا ؟
- بل هى الثالثة .. فالمكان هنا رائع ، ولا يضاهيه مكان آخر فى هدوئه وجماله .
- أما أنا فقد اعتدت أن آتى إلى هنا مرات عديدة .. لأنه المكان المفضل بالنسبة لى .
- هل تنوى استكمال دراستك حتى الجامعة ؟
- بالطبع .
- وأى كلية ترغب فى الالتحاق بها ؟
- التجارة .
- ولماذا التجارة ؟
- لأننى أرغب فى أن أكون من رجال الأعمال .

ابتسمت دون أن تعلق على ما قاله .

فسألها قائلاً :

- لماذا تبتسمين ؟

- ألا تظن أنك خيالى قليلاً ، لتفكر فى أن تكون يومًا ما من رجال الأعمال ، وأنت تحيا فى ظل هذه الظروف ؟

- إننى لا أنوى أن أستسلم لظروفى .. وأنا مصرٌّ على أن أكون يومًا ما من رجال الأعمال .

ونظر إليها وهو يردف قائلاً :

- وماذا عنك ؟

تنهدت قائلة :

- لا أظن أننى أستطيع أن أكون خيالية مثلك .. فظروف أسرتنا لا تسمح لى ، إلا بالاكتفاء بالثانوية العامة .. لأن لدى أربع أخوات أخريات ، يتعين على أبى إطعامهن والإنفاق عليهن .

- لا أنصحك بالاكتفاء بالدراسة الثانوية .. عليك أن تواصلى دراستك ، مهما كانت الظروف .

- على أيّة حال .. لو نجحت فى ذلك .. فلن أختار التجارة مثلك .. يكفينى أن أكون مهندسة زراعية .

تواصل الحديث بينهما ، وكأنهما يعرفان بعضهما منذ سنين طويلة .

لقد أحس معها بألفة لم يحسها مع أى مخلوق آخر .. وبسعادة لم يستشعرها ، فى أى حوار دار بينه وبين أى إنسان عرفه . كان هذا هو لقاؤهما الأوّل .. ولكنه لم يكن اللقاء الأخير .

توالت اللقاءات .. ونمت مع هذه اللقاءات عاطفة بين قلبين بريئين ، لم يعرفا الحب من قبل .

★ ★ ★



٥ - مخــاوف امــرأة ..

ضرب بيده على مقود السيارة بعنف قائلاً :

- تبًا لك .. لماذا عدت ؟

لماذا توقظين تلك الأحلام الجميلة ، التى ضاعت فى نفسى مرة أخرى ؟

ولماذا تحركين مشاعر مريرة جعلتنى أحياها ؟

إن عودتك قد أشعلت فى نفسى تلك النيران ، التى حاولت أن أطفئها مرارًا .

ليتك ترحلين بأسرع ما يمكنك .. حتى تخمد تلك النيران .. وأستعيد القدرة على النسيان .. نسيان ما فعلته بى .

لكن بقدر ما كان متخوفًا من عودتها .. بقدر ما اجتاحه الحنين لكى يراها .

وجد نفسه يرغب فى رؤيتها ، كما لو أن كل عذاب السنين قد تلاشى فجأة .

ولكن لا .. لن يسمح لنفسه بأن يراها .. لقد صمم

أن ينزعها من حياته إلى الأبد ، وعليه ألا يتخلى عن تصميمه .

إن لديه زوجته .. ولديه أعماله التى تستحوذ على عقله وحياته وتفكيره .

أما (ميرفت) فلم يعد لها مكانٌ فى حياته أو قلبه ..

واستقر عزمه على ذلك ، وهو يعاود القيادة متجهًا لمصنعه .

وفى أثناء ذلك ، كانت زوجته تدور فى غرفتها كحيوان سجين ، وقد تقلصت ملامحها ، واجتاحتها مشاعر مختلفة .

كانت خائفة من انهيار كل ما بنته طوال السنين الماضية .

إنها تعرف جيدًا أنها لم تستطع أن تستحوذ على قلب (مجدى) .. لكنها على الأقل استطاعت أن تحافظ عليه ، وتحتفظ به طوال هذه الفترة .

وهى تخشى أن تفقده .. لأنها تعرف جيدًا أن هذه الفتاة منافسة قوية لها .. وأنها الوحيدة التى استطاعت أن تتسلل إلى قلبه وتسكن فيه .

لكن هل من الممكن أن تتجدد المشاعر القديمة بينهما مرة أخرى ؟

وهل يمكن لتلك الفتاة أن تسعى لتجديد تلك الصلة ، التى ربطت بينهما يومًا ما من جديد ؟

ربما .. من يدرى ؟ وماذا يكون من أمرها لو حدث ذلك ؟

وفى تلك اللحظة ، سمعت طرقات على بابها ، وما لبثت أن دلفت إلى الداخل امرأة تبدو فى الثلاثين من عمرها .. وقد ارتدت ثيابًا تدل على عنايتها الشديدة بمظهرها .

وما إن رأتها (نجوى) حتى هرعت إليها قائلة :

ـ (خيرية) ؟ لماذا تأخرت فى الحضور إلىّ كل هذا الوقت ؟

نظرت إليها صديقتها بدهشة قائلة :

ـ ماذا بك ؟ لماذا طلبت أن آتى إليك بهذه العجلة ؟ ولما تبدين مضطربة هكذا ؟

ـ لقد عادت إلى البلدة مرة أخرى يا (خيرية) .. لقد عادت .

قالت لها صديقتها بدهشة :

ـ من هى التى عادت ؟

ـ أتريدين أن تقولى إنك لا تعرفين ؟ هل من المعقول أنك لم تعرفى بعد ؟

ـ اهدئى قليلا .. وتعالى لنجلس .. ثم أخبرينى بالأمر .

جلست (نجوى) دون أن تتمكن من التغلب على انفعالها ، بينما قالت لها صديقتها ، وهى تربت على كتفها لتحاول تهدئتها :

ـ والآن .. من هى تلك التى عادت ؟

لكن قبل أن تتلقى منها الإجابة .. سارعت بالقول وهى تضع يدها على جبهتها قائلة :

ـ آه .. تقصدين تلك الفتاة بنت (عفيفى سيد أحمد) ؟

وابتسمت وهى تردف قائلة :

ـ هل هذا هو ما يقلقك ؟

ـ ألا ترين فى هذا ما يستحق القلق ؟

هزّت كتفيها قائلة :

ـ بالطبع .. لا أرى فيه ما يستحق القلق .. ولا أن تفعلى بنفسك كل هذا .

ـ كيف ؟ إنك تعرفين بلا شك من هى بنت (عفيفى) .. وتعرفين صلتها القديمة بـ (مجدى) .

ـ ما أعرفه هو أن (ميرفت) الآن أصبحت أرملة لـ (كامل) .. وأنت زوجة لـ (مجدى) وأنه لم يعد هناك أساس لمخاوفك .

ـ أخشى أن يعاوده الحنين إليها .

قالت لها مطمئنة :

ـ لا أظن .. فقد ذهب كل منهما فى طريقه .

ـ إننى لم أستطع أن أجعل (مجدى) يحبنى .

ـ ولكنى متأكدة أن (مجدى) يحبك .

قالت لها (نجوى) بسخرية مريرة :

ـ ليتنى أستطيع أن أكون متأكدة مثلك .

ـ أنت بحاجة لكى تكونى أكثر ثقة بنفسك .

ـ إننى امرأة وزوجة محبة لزوجها .. لذا فأنا أقدر من يستطيع الحكم على مشاعره الحقيقية ، وأن أحسها .

وأنا أعرف أننى لم أستطع أن أصل لقلب (مجدى) بعد .

أبدت صديقتها دهشتها وهى تقول :

ـ هل هذا معقول ؟ بعد كل ما قدمته له .

ـ لقد استطعت أن أحتفظ به كزوج حتى الآن .. لكنى لم أنل حبه بعد .

ـ صدقينى . إنَّ هواجسك ليست حقيقية .. ومخاوفك هذه هى التى ستجعله يضيق بك ويهرب منك .

قالت (نجوى) فى ذعر :

ـ لا .. لا تقولى ذلك يا (خيرية) ، لا يمكننى أن أتخيل نفسى بدون (مجدى) .. ولا يمكننى أن أتحمل ابتعاده عنى .. خاصة بعد أن ارتبطت حياتى به على هذا النحو .

إن (مجدى) أصبح يعنى كل شىء فى حياتى .

ـ أتحبينه إلى هذا الحدّ ؟

ـ مهما حاولت أن أصف لك مقدار حبى له فلن أستطيع .

ـ على أية حال ، لا أظن أن (مجدى) يستطيع أن يفرط فيك ، بعد كل ما حققته له .

لقد كان قبل أن يتزوجك فقيرًا معدمًا .. يحمل على كاهله عبء أسرة أضناها الفقر والحاجة .. والآن أصبح يعد من أثرياء البلد .

لقد تغيرت حياته رأسًا على عقب بفضلك ، وبفضل ما قدمته له ، ولأسرته من مساعدات .

كما أنك لا تضنين عليه بمشاعرك ، وتحيطينه بكل أسباب الراحة والرفاهية ، وتفيضين عليه بحبك الذى لم أر مثيلاً له .

فلا أظن أنه مستعد لأن يضحى بكل ذلك .. من أجل قصة حب قديمة ، وفتاة خانته واختارت شخصًا سواه لتتزوجه .

قالت لها وهى تحاول أن تطمئن نفسها :

ـ أتظنين ذلك حقًا ؟

ـ بالطبع .. وما الذى يطلبه الرجل أكثر من ذلك ؟

ـ ليت ذلك يكون صحيحًا .

ـ لا داعى لهذا القلق .. واطمئنى تمامًا .

إن (مجدى) لا يوجد فى حياته الآن سواك .

ثم إن (ميرفت) لن تستقر فى البلد طويلاً .. لقد جاءت فقط من أجل بيع الأرض التى ورثتها عن زوجها .. ثم تعود إلى القاهرة .

ـ حقًا .

ـ طبعًا .. لا أظن أن امرأة مثلها تستطيع البقاء فى البلد بعد الآن . خاصة بعد أن عاشت فى (القاهرة) خمس سنوات .. لم تحاول خلالها أن تأتى إلى هنا مرة واحدة .

ثم إنه لم يعد لها الآن ما يستدعى بقاءها فى بلدتنا .

فقد توفى والداها .. وتزوجت أخواتها .. إذن ما الذى يدعوها للبقاء ؟

ـ ربما جاءت لتبقى من أجله .

قالت لها صديقتها معاتبة :

ـ مرة أخرى يا (نجوى) .. قل لك دعك من هذه الأوهام .

ـ على أية حال .. إذا لم تجد من يشترى منها هذه الأرض .. فإننى مستعدة أن أشتريها ، لو كان هذا يضمن رحيلها عن البلدة .

ـ والآن .. دعينا نغير هذا الحديث ، واطلبى لى شيئًا لنشربه .

حاولت (نجوى) أن تتظاهر بالاطمئنان .. لكن

مخاوفها لم تهدأ تمامًا . ووجدت نفسها تنهض فجأة قائلة لصديقتها :

ـ بعد إذنك .. سأتصل بـ (مجدى) فى المصنع لأخبره شيئًا .

ابتسمت (خيرية) قائلة :

ـ تخبرينه بشىء ، أم تطمئنى على وجوده فى المصنع الآن .. وأنه لم يذهب نحو منزل (كامل) ؟

لو تسمعين نصيحتى يا (نجوى) .. عليك بالابتعاد عن إغراق نفسك فى دوامة الشك ، وإلا فلن تستطيعى الخروج منها مطلقا .

* * *



٦ ـ صوت من الماضى ..

تعجبت (ميرفت) حينما رأت (منصور العدوى) ابن خال زوجها ، وهو يأتى لزيارتها مرة أخرى .

فقد كانت هذه هى الزيارة الرابعة له ، منذ أن حضرت إلى البلد ..

استقبلته قائلة :

ـ أهلاً يا حاج (منصور) تفضل ..

ابتسم قائلاً وهو يتقدم إلى الردهة :

ـ أكثر الله من فضلك يا ست (ميرفت) .

دعته إلى الجلوس قائلة :

ـ ما الذى تحب أن تشربه ؟

قال لها شاكرًا :

ـ كتر خيرك .. أعفنى من ذلك .. آسف إذا كنت قد أكثرت من الزيارات .. أو سببت لك شيئًا من الإزعاج .

ـ أبدًا يا حاج ، المنزل منزلك .

- أشكرك يا بنت الأصول .. هذا عشمى فيك .

في الحقيقة أنا لا أريد أن أطيل عليك .. لقد جئت إليك سحدث معك فى موضوع محدد .

- وما هو ؟

- لقد سمعت أنك تنوين بيع الأرض التى ورثتها عن المرحوم (كامل) ..

لذا رأيت أن أعرض عليك أن أقوم بشرائها منك .. خاصة وأن هذه الأرض ملاصقة لأرضى .. وأنا أولى من الغريب .

قالت (ميرفت) :

- ولكنى لا أفكر فى البيع .

نظر إليها بدهشة قائلاً :

- كيف هذا ؟

- وما هو الغريب فى هذا ؟

- لكنى سمعت أن هناك مشتريًا تقدم لشرائها .

- يوجد مشترٍ بالفعل .. لكنى أخبرته بأننى لا أنوى بيع الأرض .

- إذن .. ماذا تنوين أن تفعلى بها ؟

- أزرعها لحسابى .

قال لها مستنكرًا :

- تزرعينها ؟! كيف ذلك ؟

هزّت كتفيها قائلة :

- كما يفعل أىّ شخص يمتلك أرضًا هنا .. هناك مزارعون يتولون زراعة هذه الأرض ، منذ أن كان زوجى حيًا ، وأظن أن معظمهم ما زال مستمرًا فى عمله .. وإذا كان الأمر يقتضى استئجار مزارعين آخرين ، فسوف أستأجرهم .

- إن هذه الأرض مهملة منذ عدة سنين ، وبحاجة إلى جهد كبير لكى تعود إلى حالتها الأولى .

فمنذ أن تزوج ابن عمتى منك ، لم يعد يمنحها الاهتمام الذى تستحقه ، فأهملها المزارعون حتى كادت أن تبور .

- سأعطيها كل ما تحتاج إليه من جهد .. وسأشرف على زراعتها بنفسى ، لتعود إلى ما كانت عليه .. فلا داعى لتلميحاتك هذه .

قال لها وهو يحاول أن يبدى اعتذاره :

- أنا لا أقصد شيئًا .. أنا فقط أردت أن أقول إن هذه الأرض تحتاج إلى جهد ورعاية رجل .

نهضت (ميرفت) قائلة بحزم :

ـ وأنا أستطيع رعايتها بما يوازى عشرة رجال .

نهض (منصور) بدوره قائلاً :

ـ يا ست (ميرفت) .. أفهمينى أنا أريد راحتك .. إننى مستعد لدفع ثمن مجزٍ للأرض .

لكنها قاطعته قائلة :

ـ آسفة يا حاج (منصور) .. لقد قلت لك إننى لا أريد بيع الأرض . وأظن أننـى أستطيع أن أتصرف فى أرضى كما أشاء .

قال متهكمًا بصوت خافت :

ـ أرضك !

ثم أردف قائلاً :

ـ هل هذا هو آخر ما لديك ؟

قالت له :

ـ نعم .

ـ حسن .. كما ترغبين ، وعلى أيةَ حال ، لو غيرت رأيك .. فأنا تحت أمرك .. وجاهز لشراء الأرض .

قالت له وهى تصحبه إلى باب المنزل :

ـ شرفت يا حاج (منصور) .

وأغلقت الباب خلفه عائدة إلى الردهة ، حيث وجدت (نهلة) وهى تحمل فى يدها فنجانًا من الشاى .

فقالت لها منفعلة :

ـ هل تعرفين ما الذى كان يريده هذا الرجل ؟

ـ نعم .. لقد سمعت .

ـ هذا هو إذن سر الحفاوة التى استقبلنا بها .. لقد كان يريد الحصول على الأرض .

ـ تقصدين شراءها .

ـ لا أدرى من الذى أخبره بأننى أرغب فى البيع !

ـ تلك الأخبـار لا يمكن إخفاؤها طويلاً ، فى هذه البلدة الصغيرة .. لابد أنه قد سمع عن ذلك المشترى الذى أراد شـراء الأرض منـك ، فـرأى أنـه الأولـى بشرائها ، وأراد أن يعرض عليك سعرًا أفضل .

ـ تتحدثين وكأنك تحبذين بيع الأرض .

ـ أنت تعرفين رأيى فى هذا الأمر .

ـ لا أظن أن زوجى كان يرضى ببيع الأرض ، التى ورثها عن آبائه .

ـ زوجك نفسـه لم يكن يوليها اهتمامًا كافيًا ، بعد

أن حول كل أعماله ، إلى القاهرة ، وأصبحت أنت شغله الشاغل .

ولولا تمسكك أنت بعدم بيعه للأرض ، لكان قد باعها بعد سنة واحدة من زواجه منك .. أم نسيت أنك قد أخبرتنى بذلك ؟

إن الأرض كما أخبرك الحاج (منصور) ، بحاجة إلى جهد شاق ومصاريف لكى تعود إلى حالتها الأولى .

ـ وأنا سأثبت لـ (منصور) وسواه أننى أستطيع إعادة الأرض إلى ما كانت عليه .. بل أفضل مما كانت عليه .

مطت (نهلة) شفتيها قائلة :

ـ يا لك من عنيدة .

★ ★ ★

امتطت (ميرفت) جوادها فى عزم وإصرار ، وهى تجتاز الأرض الزراعية التى أصبحت تمتلكها ، وبصحبتها المشرف على زراعة الأرض ، حيث امتطى جوادًا بدوره ، وقد أخذ يشرح لها المحاصيل التى تدرها الأرض واحتياجاتها . وبعض المناطق التى أصابها البوار .

كانت أشعة الشمس منعكسة على شعرها الذهبى ، فزادته بريقًا .

وقد بدت بجمالها المشرق ، وكأن السنين قد أضافت إليه المزيد من السحر والفتنة .. ولم تستطع أن تنتقص منه شيئًا .

قال لها الرجل :

ـ أظن أن هذا يكفى بالنسبة لليوم يا هانم .. يمكننا أن نستكمل المرور على بقية الأرض غدًا ، فالجو حار والشمس عمودية .. وفى هذا تعب لك وإرهاق عليك .

ـ تستطيع أن تعود أنت يا (عبد الستار) .. سأبقى أنا قليلاً .

قال لها خجلاً :

ـ أنا لا أقصد .. إننى فقط لا أريد لك أن تتعبى أو تصابى بضربة شمس .

ـ لا تحمل همى .. عد أنت .. وأنا سأستظل بإحدى الأشجار الموجودة هنا .. فقد افتقدت الأرض والطبيعة هنا ، وأريد أن أستمتع بها قليلاً ، قبل أن أعود إلى المنزل .

قال لها وهو يشدّ لجام جواده متأهبًا للعودة :

ـ كما تريدين يا هانم .

هبطت (ميرفت) من فوق جوادها ، وسارت بخطى ثابتة وهى تتأمل المكان حولها ، ثم توقفت لدى إحدى الأشجار الضخمة ، وقد ارتكزت إلى جذعها . وهى تنظر إلى الأفق الممتد أمامها .

وعلى بعد عدة أمتار من مكانها ، لمحت الساقية القديمة .. حيث كان لقاؤها الأول بـ (مجدى) .

وجدت نفسها تسير نحو الساقية ، وكأنها مدفوعة بقوى خفية تقودها إلى ذلك المكان .

أحست بقلبها يخفق بقوة ، كلما ازدادت اقترابًا منها .

فهذا المكان ظل محفورًا فى قلبها وذاكرتها .. لم تمحه السنون ، ولم تتغلب عليه قسوة الغدر والخيانة .

هنا عرفت الحب لأول مرة فى حياتها .. والتقت بالشخص الوحيد ، الذى اختاره قلبها .

الرجل الذى باع حبها من أجل الثراء .

وحطم آمالها وأحلامها بخيانته لحبهما .. وهو أيضًا الرجل الذى لم تستطع أن تنساه بالرغم من كل شىء .

وقفت تنظر إلى الشجرة التى جلست تستذكر دروسها أسفلها ، يوم أن التقت به أول مرة .

لم تكن قد تجاوزت الأربعة عشر ربيعًا من عمرها .. وكانت الحياة تبدو لها جميلة وزاهية ، وهى فى هذه السن الصغيرة .

لم تكن تعرف شيئًا عن الرياء والخداع ، وكيف تتلاشى كلمات الحب الرائعة ، أمام بريق المال وأطماع الآخرين .

لم تكن تعرف بعد قسوة الحب وشقاءه .

لم تكن تعرف أن له وجهًا آخر ، غير ذلك الوجه الجميل الذى يبديه للذين ينصاعون لأوامره ، وينقادون لأحلامه .

لم يدر بخلدها ، أن المشاعر التى تحنو ، يمكن أن تخدع وتقسو .

تراجعت ثلاث خطوات إلى الوراء ، وهى ترتكز بظهرها إلى الساقية .

تتأمل تلك الشجرة التى لم تحدث بها السنون أىّ تغيير .. كتلك التى حدثت فى حياتها .

واستعادت فى ذاكراتها ساعات اللهو والمرح ، التى مرت بها مع (مجدى) بجوار هذه الساقية .

وفجأة سمعت صوتًا ارتجف له جسدها ، صوتًا تعرفه جيدًا ، وهو يتحدث إليها قائلاً :

ـ ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

★ ★ ★



٧ ـ لقاء عاصف ..

استدارت سريعًا وكأن قد أصابها تيار كهربائى لتراه ماثلاً أمامها .

جاهدت لكى يخرج صوتها من حلقها .. قائلة :

ـ (مجدى) !!

نظر إليها بعينين متفحصتين ، وكأنه يستعيد تذكر ملامحها .. قائلاً بجفاء :

ـ لم أكن أتوقع أن أجدك هنا .

قالت له وهى تحاول السيطرة على مشاعرها ، التى اضطربت لظهوره المفاجئ :

ـ وأنا أيضًا .. هل اعتدت أن تأتى إلى هذا المكان ؟

قال لها بنفس النبرة الجافة :

ـ أحيانًا .

قالت له بهدوء مصطنع :

ـ وما الذى يدعوك إلى ذلك ؟

أجابها قائلاً :

ـ ولو أن هذا لا يعنيك .. لكن أحياناً يحلو للمرء أن يستعيد ذكريات بلهاء مرت فى حياته .

هزت رأسها قائلة بجفاء مماثل :

ـ بلهاء ! حقاً .

عاد ليحدق فيها قائلاً :

ـ سمعت أنك عدت إلى البلدة منذ بضعة أيام .

قالت له وهى تتعمد أن تحادثه بكبرياء ، تحاول أن تخفى به اضطرابها :

ـ نعم .

سألها وكأنه يستجوبها قائلاً :

ـ لماذا ؟

ـ ولو أن هذا لا يعنيك .. لكن أظن أن من حقى أن أعود إلى بلدى التى تربيت فيها وقتما أشاء .

ـ لا تقولى إن الحنين إلى البلدة هو الذى أعادك إليها .

وما هو فى رأيك الشىء الذى أعادنى ؟

ـ الأرض التى ورثتها عن زوجك .. أهنئك لأن بيعك لهذه الأرض ، سيجعلك تحصلين على قدر وفير من المال ..

ـ من قال لك إننى أنوى بيعها ؟

ـ هذا ما سمعته .

ـ إذن يتعين عليك أن تتأكد من معلوماتك .. لأننى لم آت لبيع الأرض ، بل لزراعتها .

ابتسم بسخرية قائلاً :

ـ زراعتها ؟! أتقصدين أن تتولى الاشراف عليها ؟

سألته قائلة وهى تجاهد لإخفاء مشاعرها :

ـ وما الغريب فى ذلك ؟

قال لها وهو مستمر فى سخريته :

ـ إذن تريدين أن تصبحى من الأعيان ؟

قالت له بنفس النبرة الساخرة :

ـ ألم تصبح أنت كذلك بفضل زوجتك ؟

هز رأسه قائلاً :

ـ بلى .. أظن أننا متعادلان فى ذلك .

ـ ما دمت تعترف بذلك .. فلا يوجد إذن ما يدعو إلى سخريتك ..

ـ ولكنى لا أعتقد أن فتاة مثلك ، تستطيع أن تشرف على زراعة ثلاثين فداناً .

ـ هل نسيت أننى ابنة مزارع ؟

قال لها وقد عاد إلى نبرته الساخرة :

ـ آه .. كدت أنسى ذلك .. وأنا أراك فى هذه الثياب الفاخرة ، وتبدين فى هيئة الهوانم .

لاحظت أن النظرة التى يرمقها بها مختلفة هذه المرة .. برغم النبرة الساخرة التى يحدثها بها .

كانت نظرته إليها مفعمة بالحنين والاشتياق .

حنين مشاعره نحوها ، واشتياق السنين التى لم يرها فيها .

ويبدو أنه أحس بأن مشاعره تكاد أن تفضحه .. فعاد ليرسم على وجهه ذلك القناع الصلب .. الذى تظاهر به فى البداية ، بينما تخيلت هى أن مشاعرها المضطربة ، هى التى خدعتها وصورت لها أشياء غير حقيقية .

وبرغم جفاء الحوار الذى دار بينهما .. إلا أن مشاعرهما كانت صاخبة ..

أحست أنها افتقدت ابتسامته برغم سخريتها .. وأن جاذبيته التى ظنت أنها تستطيع مواجهتها ، والتغلب عليها ، مازالت قوية على النحو الذى كانت عليه من قبل .

بينما حدق فيها ، وقد أحس أنه مازال واقفًا تحت سحر جمالها الملائكى ، حتى لو كان جمالاً خادعًا ، وينطوى على نفس شيطانية .

قالت له وهى تستعد للانصراف :

ـ عن إذنك .

سألها قائلاً :

ـ إلى أين ؟

أجابته بجفاء :

ـ لا شأن لك بذلك .

ـ نسيت أن أعزيك فى وفاة زوجك .. البقية فى حياتك .

تمتمت قائلة :

ـ أشكرك .

ـ سمعت أنه كان مريضًا .

ـ لم يستغرق مرضه فترة طويلة .

ـ لا بد أنك تفتقدينه .

ـ بالطبع .

عاد للهجته التهكمية قائلاً :

ـ على أية حال ، لقد ترك لك ثروة طيبة .

قالت له بغضب :

ـ يا لك من وقح .. على أية حال ليس من الغريب على شخص مثلك ، أن يفكر على هذا النحو .. فهذا ما يتفق تمامًا مع طريقة تفكيرك ، ومبادئك .

أمسك بمعصمها فى قوة قائلاً :

ـ لا تحاولى أن تثيرى غضبى ، بالتحدث معى على هذا النحو ، فكلانا يفهم الآخر جيدًا .

تألمت من إمساكه لمعصمها بهذه القوة .

لكن ألمها كان أخف وطأة من ارتجافة يدها لملامسة أصابعه .

جذبت معصمها من يده قائلة بانفعال :

ـ دع يدى .. كيف تجرؤ ...

لكنه قاطعها وهو يشير بسبابته قائلاً :

ـ كيف تجرئين أنت على العودة إلى هنا ؟

نظرت إليه بتحدٍ قائلة :

ـ إن من حقى أن أذهب إلى أى مكان أريده .. ولا تستطيع أن تمنعنى .

صاح فى وجهها قائلاً :

ـ لم أكن أريد أن أراك مرة أخرى .

بادلته الصياح قائلة :

ـ ولا أنا ..

ـ إذن لماذا جئت إلى هنا ؟

ـ لأن هذا بلدى .. ولدى هنا أرضٌ ومنزلٌ .

ـ لقد استطعت أن تبتعدى عن هنا خمس سنوات .

ـ إذن افعل مثلى .

نظر إليها فى حنق قائلاً :

ـ تريدين أن أغادر البلدة من أجلك .

ـ ما دمت ترى أن هذه البلدة لا تسعنا نحن الاثنين .

ـ إنها بالفعل لم تعد تسعنا نحن الاثنين .

ـ إذن يمكنك الرحيل لو شئت .

ـ لا .. لن أسمح لأهالى البلدة أن يقولوا ، إننى رحلت من أجل امرأة مثلك .

نظرت إليه بازدراء قائلة :

ـ هل هذا هو ما تخشاه حقًا ؟ أم أنك لا تستطيع إقناع زوجتك ، بأن تسمح لكما بمغادرة المكان ، خاصة وهى الآمرة الحاكمة هنا ؟

صاح قائلاً وهو يرفع يده فى وجهها :

ـ اخرسى .

نظرت إليه بتحدٍ قائلة :

- هل تريد أن تصفعنى ؟

أرخى يده إلى جواره قائلاً وهو يدير لها ظهره :

- إن من كانت مثلك ، لا تستحق حتى أن أرفع يدى عليها .

تأملته لبرهة من الوقت ، وقد أغرورقت عيناها بالعبرات ، ثم ما لبثت أن اندفعت راكضة لتبتعد عن المكان .

بينما تابعها بنظراته ، وقد ظهرت معالم الأسى على وجهه .

* * *



٨ - ثلاث زهرات ..

ألقت (ميرفت) بنفسها فوق الفراش ، وهى تجهش بالبكاء .

ها هى ذى قد حققت أمنيتها الخفية ــ تلك الأمنية التى أرادت أن تداريها حتى على نفسها .. وهى أن ترى (مجدى) مرة أخرى ، وتلقاه بعد أن افترقا كل هذه السنين .

لكن هذا اللقاء لم يجلب لها سوى الحزن والتعاسة .

وتذكرت أيامهما السعيدة معًا .. والمشاعر الرائعة التى جمعت بينهما .. وحلمها الجميل بالزواج منه .

الحلم الذى لم يتحقق .. والسعادة التى انقضت وولت ، يوم أن اختار كل منهما لنفسه طريقًا غير طريق الآخر .

فما الذى تسعى إليه الآن ؟

إن الواقع التعس الذى أصبحت تحياه ، قد بدد الحلم ، فأصبح مستحيلاً ، والسعادة التى أرادتها لن تتحقق .

والشخص الذى أحبته أصبح شخصًا مختلفًا .. أصبح شديد القسوة والجفاء ، بعد أن كان فياضًا فى عاطفته وحبه وحنانه .

لقد أصبح كل شىء مختلفًا عما كان عليه .. وإذا كنت تظنين يا (ميرفت) أنك بعودتك إلى هنا ، تستطيعين استعادة الماضى الذى انقضى ، فأنت واهمة .. لأن الماضى لا يمكن استعادته .. إنه يبقى دائمًا ماضيًا ، والحب الذى عشته فترة ما من عمرك مع (مجدى) ، هو جزء من هذا الماضى ..

احتضنت وسادتها والدموع تنهمر من عينيها قائلة لنفسها :

ـ لكنى مازلت أحبه .. كنت مدركة لهذه الحقيقة فى أعماقى من قبل أن أراه .. وقد زاد تأكدى منها ، حينما قابلته اليوم ، بالرغم من القسوة التى عاملنى بها .

تبًا لك يا قلبى .. لماذا مازلت تحتفظ له بهذا الحب ؟

وفى تلك اللحظة سمعت صوت صديقتها (نهلة) ، وهى تسأل عنها الخادمة قائلة :

ـ هل عادت (ميرفت) من الخارج ؟

فسارعت بمسح عبراتها ، والاعتدال فى جلستها ، لتخفى عن صديقتها آثار بكائها .

وما لبثت أن سمعت طرقات على الباب فدعتها للدخول .

سألتها (نهلة) :

ـ هل أنت نائمة ؟

ـ كلا .. لقد كنت مسترخية قليلاً .. متى جئت من مصر ؟

ـ لقد وصلت الآن فقط .

ـ حسن .. هل أحضرت معك ما طلبته منك ؟

ـ نعم .. وأنت هل مررت على الأرض وعرفت احتياجاتها ؟

ـ إننى سأستكمل مرورى عليها غدًا .

جاءت (نهلة) لتجلس بجوارها .. لكنها نظرت إلى وجهها ، فلاحظت آثار العبرات فى عينيها .. مما آثار قلقها ، فسارعت لتمسك بذراعيها قائلة :

ـ هل كنت تبكين ؟

حاولت (ميرفت) التظاهر بالصلابة قائلة :

ـ أنا .. كلا .. وما الذى يدعونى إلى البكاء ؟

لكن (نهلة) أدركت ما كانت عليه صديقتها .. فقالت لها :

ـ لماذا تحاولين الكذب علىّ ؟

ـ لكنى لا أكذب عليك .. لماذا تصرين على أننى كنت أبكى ؟

ـ لأن هذا واضح فى عينيك .

ـ ربما دخلتها بعض ذرات من التراب ، فى أثناء مرورى على الأرض و ...

قاطعتها (نهلة) قائلة بحزم :

ـ هل التقيت به ؟

ارتبكت (ميرفت) قائلة :

ـ التقيت به .. بمن ؟

حاصرتها (نهلة) بنظراتها ، قائلة :

ـ لا داعى للّف ولا الدوران .. أنت تعرفين من هو الذى أقصده جيدًا ؟

صمتت (ميرفت) دون أن تستطع مغالبة عبرات انسابت من عينيها لتبلل وجنتها ، بينما هزّت (نهلة) رأسها قائلة :

ـ هذا ما كنت أخشاه .

قالت لها (ميرفت) وهى تنتحب :

ـ صدقينى .. لم أسع أنا وراء هذا اللقاء .

ـ سواء سعيت أنت أم هو .. فقد كنت تعرفين أن هذا سيحدث ، مادمت قد عدت إلى هذه البلدة .

أخبرينى ، ما الذى حدث ؟ وما الذى دار بينكما من حوار ؟

ـ لقد وجدت نفسى مدفوعة للذهاب إلى الساقية القديمة ، حيث تقابلنا أول مرة .. ولم يمض بى بضع دقائق ، حتى وجدته يظهر أمامى فجأة .

ـ كان يعرف أنك ستذهبين إلى هناك .. ولابد أنه ذهب إلى تلك الساقية أكثر من مرة منتظرًا مجيئك .

ـ وكيف تسنى له أن يعرف ذلك ؟

ـ لأنه يعرفك جيدًا .. ويعرف ميولك الرومانسية .. ولابد أنه أدرك أن الحنين والاشتياق ، لذكرى هذا المكان الذى شهد أول لقاء لكما ، سيدفعانك للذهاب إليه .

قالت (ميرفت) سريعًا :

ـ أو ربما أنه أحس بنفس المشاعر التى أحسست بها فى تلك اللحظة .

قالت لها (نهلة) متهكمة :

ـ فى توقيت واحد .. وبمثل ذلك التوافق .. لا أظن أن هذا ممكن أن يحدث ، إلا فى الأفلام الرومانسية .

لقد كان ينتظر حضورك .. ولو لم تذهبى إلى هناك ، كان سيدبر أيَةَ وسيلةٍ أخرى لكى يلتقى بك .

ـ ولماذا يسعى إلى لقائى ؟ إلا إذا كان مازال يحمل لى قدرًا من المشاعر ...

قاطعتها (نهلة) قائلة :

ـ ربما .. ولكن أىَ قدر وأىَ نوع من المشاعر تلك التى تظنينها ؟

ـ ماذا تعنين ؟

ـ لقد أوهمك بأنه يحبك .. وفى الوقت الذى كان يتعين فيه عليه أن يثبت لك حبه هذا .. تخلى عنك واختار الزوجة الثرية التى يمكنها أن تؤمن له مستقبله .

والآن بعد أن فرغ من تأمين مستقبله ، بتلك الزيجة التى اختارها وجد أن الفرصة سانحة أمامه ، لكى

يستعيد ذكرياته القديمة ، ويتسلى على حساب الفتاة التى أحبته ، خاصة بعد أن علم بعودتها .

صاحت (ميرفت) قائلة :

ـ أرجوك يا (نهلة) .. لا تقولى هذا .

ـ آسفة .. لكنى صديقتك .. ويتعين على أن أكون صريحة معك ..

ـ على أية حال .. لست بالفتاة الساذجة لكى أكون تسلية لأحد .

ـ أتمنى ذلك .. أخبرينى ما الذى قاله لك ؟

ـ لقد عاملنى .. كما لو كنت أنا المذنبة فى حقه .. وأنا التى يتعين أن يوجه إليها الاتهام .

لمَح لى بأننى لم أتزوج من كامل ، إلا طمعًا فى ثروته وأرضه . وطلب منى أن أرحل عن البلدةَ ؛ لأنها لا تسعنا نحن الاثنين . كان قاسيًا للغاية .

ـ وما الذى كنت تريدين أن يسمعك إياه ؟ كلمات الحب والغزل التى كانت تتردد بينكما من قبل ؟!

نظرت إليها (ميرفت) فى غضب قائلة :

ـ أنت تبدين أكثر قسوة منه الآن .

- إننى أفعل ذلك لمصلحتك .. لا بد أن أنبهك .. أظن أن قسوته هذه مصطنعة .. وسوف يحاول أن يلجأ لأسلوب مختلف فيما بعد ؛ لكى يتقرب منك .

- كلا .. لا أظن أن هذا صحيح .. لو رأيت نظرات عينيه وهو يتحدث إلىّ .

لو رأيت ما رأيته فيها من قسوة ومرارة .

- ربما لأنه لم يتصور أنك تستطيعين أن تفعلى مثله ، وأن تردى له الصاع صاعين ، فتتزوجين من شخص لا يقل ثراء عن زوجته ، وتتركين له البلدة دون حتى كلمة وداع .

نظرت (ميرفت) إليها قائلة :

- أحيانًا أراك وكأنك تتحاملين عليه .

قالت (نهلة) سريعًا وهى تحاول التظاهر بالدهشة :

- أنا .. ولماذا أتحامل عليه ؟ ربما أننى أتحامل عليه من أجل ما فعله معك .. وتخليه عن حبكما .. فأنت صديقتى .. ولا بد أن أغضب لك .

قالت (ميرفت) بأسى :

- على أية حال .. أظن أننا لن نلتقى مرة أخرى .

- أتمنى هذا .. كما أتمنى أن تنتهى من موضوع الارض هذه بأسرع وقت ؛ لكى لا تضطرى إلى البقاء فى هذه البلدة .

ونهضت متجهة إلى حقيبتها قائلة :

- والآن .. ما رأيك لو راجعنا معًا حساب المتجر ؟ لقد أحضرت كشفًا بالحساب ، عن الفترة التى قضيناها هنا .

- ليس لدى الاستعداد لذلك الآن .

- حسن .. أنا جائعة .. سأطلب من (سعاد) أن تعد لنا الطعام .

- كلى أنت .. لا أشعر بالرغبة فى تناول أى طعام الآن .

- إذن .. سأنتظر حتى نتغدى معًا .

- لا داعى لذلك .. كلى أنت ما دمت جائعة .. وأنا سأتناول الطعام حينما أشعر بجوع .

فتحت (نهلة) باب الغرفة قائلة :

- حسن .. كما تشائين .

راقبت (ميرفت) صديقتها وهى تغادر الغرفة ..

ثم اتجهت إلى النافذة المطلة على الحديقة المحيطة بالفيلا لتفتحها .

وقفت عيناها على حوض للزهور ، يقع أمام نافذتها مباشرة .

وسرعان ما شردت وهى تحدق فى ثلاث زهرات من زهور البنفسج ، وقد ارتدت بها الذاكرة إلى الوراء .

يوم جاءت مع (مجدى) إلى هذا المكان .





٩ - نافذة عن الماضى ..

لم تكن هذه هى المرة الأولى التى ترى فيها ذلك المنزل .. بل رأته عدة مرات من قبل .. وكانت تقف من بعيد لتتأمله منبهرة بما يبدو عليه من أناقة وفخامة .. لا ترى مثلها كثيرًا فى تلك البلدة الصغيرة .. التى يسكن غالبية أهلها فى بيوت طينية .

لكنها كانت المرة الأولى ، التى تذهب فيها إليه وبصحبتها (مجدى) .. وتتمكن من أن تراه من الداخل .

سألها (مجدى) وهو يرى نظرة الإعجاب فى عينيها قائلاً :

- هل أنت معجبة بذلك المنزل إلى هذا الحد ؟

قالت له دون أن ترفع عينيها عن المنزل :

- لقد كنت معجبة به دائمًا .

قال لها وهو يمسك بمعصمها :

- إذن .. تعالى لأريك إياه من الداخل .

لكنها جذبت يدها من يده ، وهى تتراجع إلى الوراء فى خوف قائلة :

ـ هل جننت ؟

ابتسم قائلا :

ـ لماذا ؟

ـ لا أظن أن صاحبه يسمح لنا بذلك .

اتسعت ابتسامته قائلا :

ـ فلنجرب .

ـ وإذا سألنا أحدٌ ما الذى نفعله بالداخل ؟

هزّ كتفيه بلا مبالاة قائلاً :

ـ سنقول له الحقيقة .. لقد جئنا لنشاهد المنزل من الداخل ، بعد أن أعجبنا مظهره من الخارج .

ـ وهل تظن أنهم سيصدقوننا ؟

ـ ولِمَ لا ؟

ـ لابد أنهم سيظنوننا لصوصًا .

ضحك قائلاً :

ـ وهل يبدو علينا أننا كذلك ؟

هزّت رأسها قائلة :

ـ كلا .. إننى لا أستطيع أن أدخل إلى هذا المكان .

ومن بعيد كان (كامل المطراوى) واقفًا فى شرفة فيلته ، يتأمل المكان من حوله عندما رآهما .

تناول منظارًا مكبرًا كان موضوعًا على مائدة صغيرة بجواره ، وأخذ ينظر إليهما من خلال عدساته المكبرة .

وسرعان ما استقر بصره على (ميرفت) .. فابتسم قائلاً :

ـ ... .خانق .. يا لها من فتاة جميلة !

وفى تلك اللحظة ، دخل الخادم إلى الشرفة لتقديم الشاى .. فسأله (كامل) قائلاً :

ـ هل ترى هذين الشابين الواقفين هناك ؟

نظر الخادم إلى حيث أشار سيده .. قائلاً :

ـ آه .. نعم أراهما ، إنه الأستاذ (مجدى) .

ـ ومن هى تلك الفتاة التى معه ؟

دقق الخادم النظر .. قائلاً :

ـ اعذرنى يا سيدى .. فأنا لا أستطيع أن أتبينها جيدًا .

أعطاه كامل المنظار المكبر قائلاً :

ـ خذ .. دقق النظر جيدًا .

نظر الخادم من خلال المنظار المكبر .. قائلاً :

- آه .. إنها (ميرفت) ابنة (عفيفى) .

سأله (كامل) قائلاً :

- ومن هو عفيفى هذا ؟

- (عفيفى سيد أحمد) .. إنه أحد المزارعين فى الأرض التى تملكها سعادتك ، كما أن لديه فداناً يؤجره فى الحوض القبلى .

- آه .. تذكرته .. هل هذه هى ابنته ؟

- نعم .. إنها متعلمة فى المدارس .

عاد (كامل) ليتأملها قائلاً :

- سبحان الله .. هل هذه ابنة (عفيفى) ؟

وفى تلك اللحظة كان (مجدى) مازال يحاول مع (ميرفت) لكى تدخل معه إلى الفيلا قائلاً :

- قلت لك لا تخافى .. أنا أضمن لك أنه لن يتعرض لنا أحد .

قالت له معارضة :

- وكيف يمكنك أن تضمن ذلك ؟

- لأننى أعرف صاحب هذا المنزل .. إنه رجل طيب ، ويعتبرنى بمثابة ابن أو صديق له .

قالت له وهى غير مصدقة :

- لم أكن أعرف .. أنك تجيد الكذب إلى هذا الحد .

قال لها بغضب :

- أنا كاذب ؟

وما لبثا أن سمعا صوت (كامل المطراوى) ، وهو يناديهما قائلاً :

- (مجدى) .. (مجدى) .. تعال .

ابتسم قائلاً :

- ألم أقل لك إنه صديق لى ؟ هيا تعالى ولا داعى لهذا الخوف .

أخذت تتأمل الحديقة المحيطة بالفيلا من الداخل بعينين حالمتين ، وما لبثت أن استقرت عيناها على أحواض الزهور ، وقد استرعى انتباهها زهور البنفسج ، التى تشغل أحد الأحواض .. فتسمرت أمامها قائلة :

- يا لها من زهور رائعة .

ابتسم (مجدى) وهو ينظر إليها قائلاً :

- إنك لا تقلين عنها روعة .

ثم أردف قائلاً :

ـ ولكن دعك من الزهور الآن .. ودعينا نصعد إلى الرجل ..

قالت له دون أن ترفع عينيها عن حوض الزهور :

ـ اصعد إليه أنت .. أما أنا فسأبقى هنا .

ـ لكن الرجل دعانا لمقابلته .

ـ دعاك أنت .. ألا تقول إنك صديقه ؟

ـ آه .. نعم .. ولكن ألا تريدين أن ترى الفيلا من الداخل ؟

ـ كلا .. سأكتفى بمشاهدة الحديقة ..

ـ إن من يراك وأنت تحدقين فى الفيلا من الخارج ، يظن أن لديك فضولاً لكى ترى كل ركن فيها .

ـ يكفينى أن أرى مظهرها الخارجى ، وتلك الحديقة المحيطة بها .. ثم أطلق العنان لخيالى .. أحياناً يكون الخيال أكثر جمالاً من الحقيقة .

تأملها قائلاً :

ـ يا لها من نظرة فلسفية للأشياء .

حسن .. انتظرينى هنا حتى آتى إليك .

ـ ولكن لا تتأخر كثيراً .

وفى تلك اللحظة سمعا صوت (كامل) وهو يتحدث إليهما قائلاً :

ـ سآتى أنا إليكما .. ما دامت الآنسة الصغيرة لا تريد أن تشرفنى بزيارة منزلى .

التفتا سريعًا لينظرا إليه وقد أصابهما الارتباك ، حيث قال له (مجدى) متلعثمًا :

ـ (كامل) .. بيه .

صافحه (كامل) قائلاً :

ـ كيف حالك يا (مجدى) ؟

صافحه (مجدى) باحترام شديد قائلاً :

ـ بخير يا بك .. الحمد لله بخير .

نظر (كامل) إلى (ميرفت) قائلاً :

ـ ألن تعرفنى بالآنسة الجميلة ؟

ـ آه .. طبعًا .. طبعًا .. الآنسة (ميرفت) .

لم ترتح (ميرفت) لنظرته إليها ولا للمسة يده .. فقد كان يحدق فيها بشكل غريب .. وأحست بأنه يتعمد أن يضغط بأصابعه على يدها ؛ بينما أكمل (مجدى) التعارف قائلاً :

ـ (كامل) بك .. لابد أنك تعرفينه بالطبع .. فهو من وجهاء البلدة ومن أعيانها .

أشعل (كامل) سيجارة ، وهو ما زال يحدق فيها قائلاً لـ (مجدى) دون أن ينظر إليه :

ـ هل هى خطيبتك ؟

ـ تقريبًا .. لقد قرأت فاتحتها .. وننوى الزواج إن شاء الله بعد أن أنتهى من دراستى .

ابتسم (كامل) دون أن يرفع عينيه عنها قائلاً :

ـ أهنئك .. لقد عرفت كيف تختار .. فخطيبتك تبدو رائعة الجمال .

ابتسم (مجدى) فى زهو قائلاً :

ـ أشكرك يا (كامل) بك .

بينما تمتمت هى بعبارات الشكر ، دون أن يبدو أنها قد تأثرت بمجاملته كثيرًا :

ـ سألها (كامل) قائلاً :

ـ أمازلت طالبة ؟

قالت له :

ـ نعم .. إننى فى الثانوية العامة .

هز رأسه قائلاً :

ـ عظيم .. وهل تنوين استكمال دراستك ؟

أجابته قائلة :

ـ بحسب ما تسمح الظروف .

سألها وهو يوليها اهتمامًا شديدًا :

ـ كيف ؟ هل توجد ظروف تحول دون ذلك ؟

ـ لو حصلت على مجموع يؤهلنى للالتحاق بجامعة قريبة ، فسوف أستكمل دراستى .. أما لو لم يحدث فلن أستطيع إرهاق أبى بأىَ مصاريف إضافية .

ـ عمومًا إذا احتجت أيَة مساعدة فإنك تستطيعين أن تطلبيها منى .

ثم استدرك قائلاً :

ـ فأنا لا أتأخر عن خدمة أىَ شخص هنا فى البلد .. كما أننى أحمل إعزازًا خاصًا لـ (مجدى) .

ازداد (مجدى) زهوًا وهو يقول له :

ـ أشكرك يا (كامل) بك .

بينما أردف (كامل) قائلاً :

ـ ولو أنى عاتب عليك .

سأله (مجدى) قائلاً :

ـ حقًا .. لماذا ؟

ـ ألم أطلب منك أن تولى عناية خاصة لابن أختى (صلاح) ؟ سمعت أنك طالب متفوق فى دراستك بكلية التجارة ، ودائمًا ما تكون من الأوائل . وقد طلبت منك أن تهتم بتقديم معاونتك إليه ، خاصة وأنها السنة

الثانية له التى يرسب فيها فى السنة الأولى من كلية التجارة .. لكن يبدو أنك لم تهتم كثيرًا بما طلبته منك .

صاح (مجدى) وكأنه يدفع تهمة عنه :

ـ أبدًا يا (كامل) بك .. لقد عرضت مساعدتى على (صلاح) .. وكنت مستعدًا للاستذكار معه .. لكنه هو الذى رفض .

إنه لم يستجب إلا فى البداية بعد أن طلبت منى معاونته .. لكن بعد ذلك أخذ يتهرب من مذاكرتنا معًا .. وجعلنى أفهم بشكل واضح أنه لا يرحب بمعاونتى له .

ـ حقًا ؟ إذا كان الأمر كذلك ، فإننى أكون قد ظلمتك .. وسوف يكون لى شأن آخر مع (صلاح) .. وقد كان يتعين عليك أن تخبرنى منذ البداية .

ثم عاد لينظر إلى (ميرفت) قائلاً :

ـ من الواضح أنك معجبة بزهور البنفسج .

هزت رأسها قائلة :

ـ إنها جميلة حقًا .

ابتسم لها قائلاً :

ـ تستطيعن أن تأخذى منها ما تريدينه .

ـ أشكرك .

قَالَ لها ملحًا :

ـ حقيقة .. إننى لا أجاملك ، تستطيعين أن تأخذى منها ما تشاءين ، فلدىَّ منها الكثير .

ـ إننى أفضل أن أراها فى حوض الزهور .

قال لها وهو يطفىء سيجارته :

ـ إذن تستطيعين أن تأخذى حوض الزهور .

قالت له متحرجة :

ـ شكرًا لك .. ولكنى ...

قال لها بحسم :

ـ سأطلب من السائق أن يحمله فى سيارتى إلى منزلك .

لكنك تحرجنى هكذا .

ابتسم قائلاً :

ـ لا يوجد ما يدعو إلى الحرج .. فلا شىء بكثير على فتاة جميلة مثلك .

ـ لا أدرى ماذا أقول ؟

ـ تقبلين دعوتى على الغداء أنت و (مجدى) .

ـ أشكرك لكنى لا أستطيع ذلك ..

سألها قائلاً :

- لماذا ؟

ثم تحدث إلى (مجدى) قائلاً :

- هل خطيبتك من النوع الذى يرفض تناول الطعام عند الآخرين ؟

قال له (مجدى) وهو يشعر بحرج مماثل :

- فى الحقيقة .. إنها .. أعنى إننا ...

بينما قالت له الفتاة :

- إننى لم أخبر والدى ، بأننى سأتأخر فى الحضور إلى المنزل اليوم .

هز كتفيه قائلاً :

- إذن .. فليكن الغد .. أو فى أى يوم آخر تختارينه .. ولكن خلال هذا الأسبوع ، لأننى سأذهب إلى القاهرة الأسبوع القادم .

ويمكن لوالديك أن يأتيا معك أيضًا لو أرادا ، فمنزلى مفتوح دائمًا للجميع .

وأردف قائلاً بصوت خافت :

- خاصة وأنا أعرف أنك معجبة بهذا المنزل .

احمرت وجنتاها وهى تتساءل :

- كيف تسنى له أن يعرف ذلك ؟

بينما استطرد قائلاً بنفس الصوت الخافت :

- لا تتعجبى كثيرًا .. فقد رأيت ذلك الإعجاب فى عينيك ، منذ أن اقتربت من سوره الخارجى .

وعلى أية حال ستكون فرصة لك لكى تشاهديه من الداخل .

وأظن أنك ستزدادين إعجابًا به عندما ترينه عن قرب .

* * *



١٠ ـ اللقــاء الثــانى ..

تكررت دعوات (كامل المطراوى) لهما ، لزيارتـه فى أثناء وجوده فى البلدة ، وكان يبدى اهتمامًا خاصًا وترحيبًا بها ، على نحو أنساها عدم ارتياحها إليه فـى البداية .

فقد كان يبذل أقصى ما لديه من جهد ، لكـى يكون لطيفًا فى معاملته لها .

لكن (مجدى) هو الذى بدأ يبدى عدم ارتياحـه لهذا الاهتمام الزائد من جانب الرجل .

فقال لها ذات يوم ، وهما يغادران منزله ، ويسيران معًا بجوار القناة الصغيرة التى تخترق أحد الحقول :

ـ أعتقد أنه يتعين علينا ، ألا نذهب مرة أخرى إلـى منزل ذلك الرجل .

سألته قائلة :

ـ لماذا ؟ إنه يعاملنا بمنتهى اللطف .. كما لو كنـا ابنيه .

قال لها بضيق :

ـ إن لطفه قد زاد على الحد ، خاصة معك .. كما أن نظرته إليك لا تبدو أبوية على الإطلاق .

نظرت إليه بدهشة قائلة :

ـ ماذا تقصد ؟

ـ أنت تفهمين قصدى جيدًا .

قالت له وقد سُرَت لغيرته عليها :

ـ لا تكن سيئ الظن هكذا .. إن الرجل يحـاول أن يبدو لطيفًا معنا .

سألها قائلا :

ـ لمـاذا ؟

هزَت كتفيها قائلة :

ـ لأنه رجل يتميز بالكرم .

ـ ولماذا يبدى كل هذا الكرم نحونا نحن بالذات ؟

ـ لأنه صديقك .. ألم تقل لى ذلك ؟

ثم أردفت قائلة وهى تتعمَد إغاظته :

ـ أم أنك تشعر بالخجل ، لأننى عرفت أنك قد اخترعت موضوع الصداقة هذه .. وأن الأمر لم يكن يتعدى تكليفه لك بتدريس بعض المواد لابن اختـه .. وأداء بعض الخدمات له ؟

على أية حال أظن أنه قد بدأ يعاملك كصديق الآن .

قال لها بجدية :

ـ (ميرفت) .. أنا أتكلم بجد .. إننى لم أعد أرى داعيًا للذهاب إلى تلك الفيلا مرة أخرى .

سألته قائلة :

ـ إذن .. لماذا قبلت دعوته لنا لزيارته يوم الأربعاء القادم ؟

ـ لقد أحرجنى .. وعلى أية حال ، أظن أننى قد أخطأت فى قبول هذه الدعوة .. وسوف أعتذر له عن تلك الزيارة .

ـ لكنى لا أجد ما يدعونا إلى إساءة الظن بالرجل هكذا .. مع كل ما يبديه نحونا من مودة ولطف .

انفعل قائلاً :

ـ قولى إذن إنك قد استمرأت كلمات الغزل المقنعة التى يقولها لك .. ونظرات الإعجاب التى تبدو فى عينيه .

ضحكت قائلة :

ـ أتظن ذلك ؟

قال لها وهو مستمر فى انفعاله :

ـ نعم .. وأظن أيضًا أنه يحاول أن يثير انبهارك بثرائه ، ومظاهر الغنى والرفاهية الموجودين فى فيلته .

ـ أليست هذه هى نفس الحياة التى تحلم بها ؟

نظر إليها قائلاً :

ـ لكنها لن تساوى شيئًا إذا لم تشاركينى فيها .

تنهدَت (ميرفت) وهى تغلق النافذة ، وتغلق معها إحدى صفحات ذكرياتها ، قائلة لنفسها :

ـ لقد اخترت أن تشاركك فيها غيرى .. وأثبتت الأيام أنها تساوى بالنسبة لك أن تضحى بحبنا .

استدارت لتجد صديقتها واقفة بجوار الباب ، وقد أمسكت بسندوتش تقضمه وهى تنظر إليها .

حدقَت فيها (نهلة) قائلة :

ـ هل كنت تستعيدين ذكريات الماضى ؟

قالت (ميرفت) بضيق :

ـ ألا تكفين عن ملاحقتى ؟

قالت لها (نهلة) مازحة :

ـ من المفترض أننى صديقتك ، وسكرتيرتك الخاصة أيضًا .. إذن يتعين علىَّ ملاحقتك ، فذلك جزء من واجبى نحوك .

- إننى لست فى حالة مزاجية تسمح لى بسماع مثل تلك المداعبات الثقيلة .. ألم تقولى إنك جائعة وستذهبين لتناول طعامك ؟

- لقد أوشكت على الانتهاء منه بالفعل .. وهأنذا قد أحضرت معى ما تبقى من طعام فى هذا السندوتش .. وقلت آتى لتسليتك .

- أشكرك لست بحاجة لتسليتك .

- لقد حدثنى (منصور العدوى) بشأن الأرض مرة أخرى .

قالت (ميرفت) بضيق :

- يا له من شخص لحوح .. لقد أخبرته أننى لن أبيع الأرض .

- إنه يأمل أن تغيرى موقفك .

- إذا تحدث إليك مرة أخرى فى هذا الشأن ، قولى له إننى لن أغير موقفى أبدًا .. وإذا أردت أن أبيع هذه الأرض فى يوم من الأيام فلن أبيعها له .

- هل أنت واثقة من أن هذا هو موقفك النهائى ؟

- هل أنا بحاجة لكى أكرّر عليك ذلك مرة أخرى ؟

- حسن .. كما تشاءين .. ولكن هيا لتغادرى هذه

الحجرة المغلقة ، ولنستنشق معًا بعض الهواء الطلق فى الحديقة .

قالت لها وهى تحس بإعياء يجتاح جسدها :

- لا أجد لدى القدرة على ذلك .

أمسكت (نهلة) بيدها قائلة :

- بالطبع .. إنك ستمرضين لو بقيت فى هذا المكان المغلق ، مستسلمة لهموم أفكارك .

دعينى أخلصك من هذه الحالة السيئة التى تبدين عليها .

جولة قصيرة معى فى الحديقة ، وسوف أنزع مسحة الحزن هذه التى تبدو مرتسمة على وجهك .

ابتسمت (ميرفت) برغم الحزن المرتسم على وجهها قائلة :

- يا لك من صديقة حنون وطيبة .. برغم ثقل ظلك أحيانًا .

نظرت إليها وقد تأثّرت بما سمعته .. وعاودها الإحساس بالذنب على ما اقترفته فى حق صديقتها قائلة لنفسها :

ـ ليتنى كنت على هذه الصورة المثالية التى تظنينها فىَ حقًا .

★ ★ ★

أنهت (ميرفت) شراء المستلزمات التى تحتاج إليها الأرض من المدينة المجاورة ، حيث أودعتها فى سيارتها قائلة لصديقتها :

ـ حسن .. يمكنك أن تعودى الآن إلى البلدة .. واطلبى من (أمين) أن يضع هذه الأشياء فى المخزن ، إلى أن أعود من (القاهرة) .

سألتها (نهلة) قائلة :

ـ هل أنت مصممة على السفر الآن إلى (القاهرة) ؟

ـ نعم .. هناك بعض الأشياء التى يتعين علىَ مراجعتها بشأن المتجر . أيضًا أريد أن أطمئن على الإجراءات الخاصة بالملابس الجديدة .

ـ ولماذا لا آتى معك ؟

ـ لأنه يتعين على إحدانا أن تكون موجودة بالفيلا فى غياب الأخرى . كما أننى أريد منك أن تتأكدى من تخزين هذه الأشياء بنفسك .

ـ ولكن لا تتغيبى فى (القاهرة) كثيرًا .. فأنا

أشعر بملل شديد من وجودى فى هذه البلدة بمفردى .

ـ لن أغيب أكثر من يوم واحد .. فقط أنتهى من تلك الإجراءات التى حدثتك عنها .. ثم أعود على الفور .

وفى تلك اللحظة توقفت سيارة زرقاء بالقرب منهما ، حيث هبط (مجدى) منها وهو ينظر إلى (ميرفت) .

لم تكن (ميرفت) وحدها هى التى اضطربت لرؤيته هذه المرة ، بل أصاب الاضطراب (نهلة) أيضًا ، حيث كانت هذه هى المرة الأولى التى ترى فيها (مجدى) منذ خمس سنوات .

اقترب (مجدى) قائلاً لـ (ميرفت) :

ـ صباح الخير .

قالت له بصوت خافت وهى تزدرد لعابها :

ـ صباح الخير .

ظل يحدق فيها للحظة قبل أن يلتفت إلى صديقتها قائلاً :

ـ كيف حالك يا (نهلة) ؟

قالت بصوت أشد خفوتًا وهى تتطلع إليه :

ـ الحمد لله .. أنا بخير .

تحدث إليها قائلاً :

ـ مضى وقت طويل منذ أن رأيتك .. أليس كذلك ؟

قالت له وهى تحاول أن تتغلب على اضطرابها :

ـ نعم .

حول نظره إلى (ميرفت) قائلاً :

ـ خمس سنوات .. أليس كذلك ؟

ظلت (ميرفت) صامتة دون أن تجيبه .. وقد ظل يحاصرها بنظراته للحظة .. قبل أن يواصل طريقه متجهًا إلى أحد المتاجر القريبة .

ما إن اختفى عن أعينهما داخل المتجر ، حتى استردت (نهلة) صوتها الطبيعى قائلة :

ـ ما الذى أتى بهذا الشخص إلى هنا ؟

قالت لها (ميرفت) دون أن تتمكن من التغلب على اضطرابها :

ـ لا أدرى .

ـ لا أظن أن ظهوره المفاجئ هذا كان من باب المصادفة .

قالت (ميرفت) وهى تلقى نظرة سريعة مختلسة إلى المتجر الذى دخل إليه :

ـ وما شأننا به ؟

قالت (نهلة) وهى تنظر فى اتجاه المتجر بارتياب :

ـ أعتقد أنه كان يتبعنا .

ـ وما الذى يدعوه إلى ذلك ؟

ـ لا أدرى .. ولكن ظهوره المفاجئ هذا لا يريحنى .. وأظن أنه يحاول أن يرمى شباكه حولك مرة أخرى .

ـ دعك من هذه التشبيهات الغريبة .. وهيا لتذهبى إلى البلدة ، فالسائق فى انتظارك .

قالت لها (نهلة) بعناد :

ـ لن أتركك فى هذه المدينة وحدك مع وجود هذا الشخص .

قالت (ميرفت) :

ـ ما هذا الهراء الذى تقولينه ؟ أتظنين أننى طفلة صغيرة يمكن لأحد أن يغرر بها ؟ أم تعتقدين أنه سيختطفنى ؟

ـ لكنى لا أطمئن ......

قاطعتها (ميرفت) قائلة :

ـ إننى سأستقل القطار بعد لحظات ، ليقلنى إلى (القاهرة) ، وإذا كنت تريدين الاطمئنان علىّ ، فسوف أنادى سيارة أجرة أمامك لتحملنى إلى المحطة .

ـ إذن سأنتظر حتى تستقلى هذه السيارة .

قالت لها (ميرفت) متبرمة :

ـ حسن .. كما تريدين .

ونادت إحدى سيارات الأجرة ، حيث طلبت من سائقها أن يحملها إلى المحطة ، بينما (نهلة) واقفة ترقبها .

وما إن اطمأنت إلى انصرافها .. حتى ألقت نظرة ثانية على المتجر .

واستقلت السيارة التى تنتظرها ، وهى تطلب من السائق أن يقودها ، بينما ظلت عيناها ترقبان المتجر فى أثناء تحركها .

نقدت (ميرفت) السائق أجره ، ثم وقفت على رصيف المحطة تنتظر وصول القطار .

وبينما كانت تروح وتغدو فوق رصيف المحطة ، إذا بها تراه أمامها فجأة للمرة الثانية .

★ ★ ★

١١ ـ ما زال حبك ينبض ..

حدقت فيه بدهشة قائلة :

ـ أنت !!

قال لها ببرود :

ـ هل فاجأتك ؟

أرادت أن تتراجع .. لكنه استوقفها ، وهو يسألها مرة أخرى قائلاً :

ـ هل تخافين منى ؟

قالت له بصوت متردد :

ـ ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

قال لها بنفس النبرة الباردة :

ـ لأننى أردت أن أراك .

ـ وكيف عرفت أننى سآتى إلى المحطة ؟

ـ سمعتك وأنت تطلبين من سائق السيارة أن يحملك إلى هناك .

قالت له بعصبية :

ـ ماذا تريد منى ؟
فاجأها بنفس النبرة الباردة :
ـ لقد قلت لك .. أردت أن أراك .
قالت له وقد ازدادت توترًا :
ـ لمـاذا ؟
ـ لأننى افتقدتك كثيرًا .
ـ من فضلك ، إننى لا أحب سماع مثل هذا الكلام .
قال لها وقد تحولت نبراته إلى السخرية :
ـ لماذا ؟ هل من الكثير علىَّ أن أفتقد الإنسانة التى أحببتها ، بعد غياب خمس سنوات ؟
سألته قائلة :
ـ هل كنت تتبعنى إلى المدينة ؟
أجابها قائلاً :
ـ بصراحة .. نعم .
ـ أظن أن فى هذا تجاوزًا للحدود .
قال لها بهدوء :
ـ بالفعل .. لقد وجدت نفسى اليوم مدفوعًا لتجاوز الحدود التى أصبحت قائمة بيننا ، منذ أن رحلت عن هذه البلدة ، لكى أراك وأتحدث إليك .

قالت له متهكمة :
ـ أظن أنك فى آخر لقاء بيننا ، قلت لى إنك لم تكن تريد أن ترانى مرة أخرى .. وطلبت منى الرحيل ، لأن البلد لا تسعنا نحن الاثنين .
قال لها وفى عينيه نظرة غاضبة :
ـ وكنت أعنى ذلك وقتها .
ـ إذن فما الذى طرأ عليك ، وجعلك تتحمل كل هذه المشقة لكى ترانى ؟
أطلق زفرة قصيرة ، وقد ارتسمت فى عينيه الحيرة هذه المرة قائلاً :
ـ لا أدرى .. وأظن أن هذا تصرف غبى من جانبى .
قالت له بجفاء :
ـ إذن يمكنك أن تعود من حيث جئت .
نظر إليها مليًا وقد بدا عليه التردد .. ثم ما لبث أن قال لها وقد اكتست ملامحه بالتوتر :
ـ أريد أن أعرف لماذا فعلت هذا ؟
ـ ما الذى فعلته ؟
قال لها ووجهه ينطق بمظاهر الألم :
ـ لماذا هجرتنى ؟

قالت له بتعجب :

ـ أنا التى هجرتك ؟!

ـ لست أنا الذى ضحيت بالحب من أجل الثراء .

قالت له وفى عينيها نظرة اتهام :

ـ إذن .. من ؟

قال لها وهو يرمقها بنظرة اتهام مماثلة :

ـ الفتاة التى ارتضت أن تتزوج برجل عمره ضعف عمرها ، من أجل ثرائه .. ومن أجل المنزل الجميل الذى طالما أعجبت به ، الفتاة التى كانت تتشدق دائمًا بالمثالية ، وتتظاهر بالرومانسية ، فإذا بها تبيع كل شىء من أجل المادة ..

الفتاة التى كانت تتهمنى بالطموح الزائد .. وتحذرنى دائمًا من الاندفاع وراء المظاهر المادية .. فإذا بها تفعل كل ما كانت تحذرنى منه ، وتنجرف أمام تيار الثراء ، فتضحى بكل عاطفة .. وبكل الحب الذى ربط بين قلبينا فى يوم من الأيام .

هذه هى الفتاة التى أتحدث عنها .. وأريد أن أعرف ، كيف استطاعت أن توهمنى بكل هذا الحب ، الذى كان حديث كل أهل البلدة ، والذى كان يبدو قويًا

ومنيعًا ، فى حين لم يكن أكثر من بنيان هش ، سقط عند أول اختبار ، وأمام أول إغراء مادى لوح به رجل ثرى أراد أن يشتريك بنقوده ؟

أريد أن أعرف كيف استطعت أن تفعلى بى ذلك ؟ كيف تمكنت من خداعى على هذا النحو ، وجعلتنى أومن بمشاعر عميقة وقوية لا تؤمنى أنت نفسك بها ؟

لقد ظللت أتساءل طوال تلك السنوات الماضية ، محاولاً البحث عن إجابة لأسئلتى .. دون أن أجد أمامى سوى إجابة واحدة ، وهى أننى كنت غبيًا إلى أقصى حدّ .. ومخدوعًا إلى حد السذاجة .

نظرت إليه بجفاء ، دون أن يبدو عليها أنها قد تأثرت بكلمة واحدة مما قاله قبل أن تقول :

ـ يا لك من ممثل بارع .. إن من يراك وأنت تتحدث على هذا النحو ، يظن بالفعل أنك ذلك المحب المخدوع ، الذى طُعن فى مشاعره وغررت به عواطفه .

باستطاعتك أن تقنع الآخرين بما قلته .. وأن توهمهم بأنك الضحية لفتاة خانت حبك من أجل المال والثراء كما تدعى .

باستطاعتك حتى أن تخدع نفسك بمثل هذه الكلمات ..

لكنك لن تستطيع أن تخدعنى .

فكلانا يعرف جيدًا من هو الذى خان الآخر ؟ ومن الذى ضحى بالحب من أجل السعى وراء الثراء .

وإذا كنت تهدف من وراء هذه التمثيلية إلى أن تحوز كل شىء . الثراء الذى أصبح بين يديك ، والحب الذى أضعته ، فإنك واهم ولعبتك هذه لن تجدى بشىء .

فأنا لم أعد نفس الفتاة التى عرفتها من قبل .

والتجربة التى مررت بها معك لم تذهب بلا فائدة .

فقد تعلمت منها الكثير .. وأصبحت أكثر وعيًا وإدراكًا لمظاهر الخداع ، التى تحاول أن تستخدمها معى الآن .

وفى تلك اللحظة دخل القطار إلى المحطة .. فتقدمت نحو أحد أبوابه قائلة :

ـ عن إذنك .. وأرجو ألا يتكرر هذا اللقاء مرة أخرى .

لكنه أمسك بمرفقها بقوة .. وقد بدا أن لسانه يريد أن ينطق بشىء عجز عن أن يقوله .

حاولت أن تجذب مرفقها من يده ، لكنه بقى متشبثًا به بقوة .

همّت بأن تصيح فى وجهه ، أو تصرخ محتجة .. لكنها لم تملك سوى أن تقول له بصوت خافت ، وقد عاودتها تلك الرجفة التى اهتز لها جسدها حينما أمسكت أصابعه بمرفقها .

ـ أرجوك .. دع ذراعى !

صاح فى وجهها قائلا :

ـ إن ما تقولينه كذب ورياء .. لماذا تريدين أن تحملينى أنا ذنب خيانتك لى ؟

أنت التى ضحيت بحبنا فى البداية .. وإذا كنت قد سعيت وراء الزوجة الثرية ، والطموحات التى ألقيت بها وراء ظهرى عندما أحببتك ، فإننى قد فعلت ذلك ردًا على خيانتك لى . ولأننى أردت أن أعاملك بالمثل .

لقد تهاوت أمامى كل القيم والمشاعر ، فى اللحظة التى ضحيت فيها بحبنا ، وغادرت هذه البلدة وأنت زوجة لغيرى .

ـ وهل تنكر أنك كنت متعلقًا بأذيال هذه المرأة التى تزوجتها منذ البداية ؟ وأنك رفضت التخلى عن صلتك

الوثيقة بها حتى اللحظة الأخيرة .. ولم تكن لهذه القيم ولا المشاعر أىَ وزن لديك ؟

ـ كنت بحاجة إليها .. لكنى لم أكن لأفرط فيك ولا فى حبنا أبدًا من أجلها .

ـ أرجوك يا (مجدى) .. القطار سيتحرك .. لم يعد هناك جدوى من وراء ذلك .

وإذا كنت تحمل لى بعض القدر من الإعزاز ، يتعين عليك أن تراعى وضعى الآن كأرملة .. ووضعك كرجل متزوج .

ماذا لو رآنا أحد من أهل البلدة الآن ؟

خفف من قبضته على مرفقيها تدريجيًا ، ليتركها تركب القطار .

حيث أخذت تتعثر فى خطواتها وهى تبحث عن مقعدها .

نظر إليها من وراء النافذة والقطار يوشك أن يتحرك قائلاً :

ـ مع الأسف الشديد .. بالرغم من كل شىء ، فإننى أجد نفسى مازلت محتفظًا لك بهذا الحب الذى حاولت أن أنزعه من قلبى مرارًا .

نظرت إليه دون أن تجيب بشىء فى حين كان القطار يتحرك .

وبينما كان القطار يسير بجوار رصيف المحطة ، كان (مجدى) يتبعه بخطوات مسرعة ، وكأنه يريد أن يلحق به .

أما هى ، فقد نظرت أمامها دون أن تحاول الالتفات إليه ، وقد انسابت عبرة فوق وجنتها وهى تقول لنفسها :

ـ أنا أيضًا يا (مجدى) بالرغم من كل شىء ، أعرف أننى مازلت عاجزة عن التخلص من هذا الحب .

★ ★ ★



١٢ ـ أشـــواك الحــب ..

حدجت (نجوى) زوجها بنظرة فاحصة قائلة :

ـ أين كنت بالأمس ؟

أجابها وهو يرتدى ثيابه قائلاً :

ـ كنت فى المدينة أشترى بعض الأشياء .

سألته قائلة بصوت يشوبه الانفعال :

ـ وما هى تلك الأشياء التى ذهبت لشرائها ؟

نظر إليها قائلاً :

ـ أشياء خاصة بالسيارة .

قالت له وفى عينيها نظرة ارتياب :

ـ إذن دعنى أرها .

قال لها محتداً :

ـ ماذا حدث يا (نجوى) ؟ هل هو تحقيق ؟ لماذا تتحدثين معى على هذا النحو ؟

ـ أليس من حقى كزوجة أو أعرف سبب سفرك المفاجئ بالأمس ؟

قال لها بضيق :

ـ وأنا قد أخبرتك .

قالت له وهى تحدجه بتلك النظرة الفاحصة :

ـ وهل التقيت بأحد هناك ؟

بدا عليه بعض الاضطراب لدى سماعه ذلك قائلاً :

ـ أحد .. مثل من ؟

ـ أى شخص من البلدة مثلاً ؟

حاول أن يتغلب على ارتباكه قائلاً :

ـ كلا .. لم ألتق بأحد .

قالت له ونبرة الشك تبدو واضحة فى صوتها :

ـ هل أنت واثق من ذلك ؟

صاح فى وجهها قائلاً :

ـ (نجوى) .. ما معنى ذلك ؟ إن صوتك ينطوى على نبرة غريبة لا أفهمها .

قالت له وفى عينيها نظرة غاضبة :

ـ إننى أحاول أن أستفسر فقط .. فلا داعى للصياح .

ـ إذا كان أحد قد أخبرك أى شىء .. فتأكدى أنه غير صحيح .

وإذا كنت ما زلت تطلقين جواسيسك فى إثرى ..

فلا بد أن تعرفى أنهم سيكونون سببًا فى التفرقة بيننا .

قالت له وهى تسارع بتخفيف حدة نبرتها :

ـ إن أحدًا لم يخبرنى بأى شىء .. وأنا لا أطلق جواسيس فى إثرك . فلا داعى لأن تضخم الأمر إلى هذا الحد .. وتعطيه حجمًا لا يستحقه .

سأذهب لأعد لك الإفطار .

راقبها وهى تنصرف من الحجرة .. وقد اعتراه إحساس بالقلق قائلاً لنفسه :

ـ ترى .. هل عرفت شيئًا عن لقائه بـ (ميرفت) بالأمس ؟

لا بد أنها قد عرفت ، فنبرة صوتها تدل على ذلك .

ولكن كيف تسنى لها أن تعرف ؟

ليس هذا بالشىء الصعب على امرأة مثلها .

لا بد أن ذلك سيضيف إلى حياتنا المزيد من المتاعب والشكوك ، فهى تشعر بغريزتها أننى لا أحمل لها ذلك الحب الذى أتظاهر به دائمًا .

ولكن ماذا عساى أن أفعل ؟

لقد حاولت .. ولم أستطع .. فقلبى ليس لى سلطان عليه .. وقلبى لم يحب أحدًا سوى (ميرفت) .

إنها تبذل الكثير من الجهد لإسعادى ولا تضن بشىء فى سبيل إرضائى .

فأنا أعرف أنها تحبنى بكل جوارحها .. ولكن مشاعرى نحوها لم تستطع أن تتجاوز حدود الإعزاز والتقدير ، وإن كنت مضطرًا لأن أتظاهر طوال الوقت بما يتجاوز ذلك .

تهالك فوق أحد المقاعد ، وقد وضع يده على جبهته قائلاً بضيق :

ـ ولقد تعبت من هذا التظاهر .

ألقى برأسه على مسند المقعد ، وهو يستعيد ما قالته له (ميرفت) على رصيف المحطة .. قائلاً لنفسه :

ـ ماذا كانت تقصد بما قالته ، عن أننى أنا الذى ضحيت بحبها من أجل الزواج من (نجوى) ؟ لقد كنت واضحًا تمامًا فى الرسالة التى أرسلتها لها .

كنت مستعدًا للتخلى عن كل شىء من أجلها .. وأخبرتها أننى سأنتظر منها ردًا محددًا على رسالتى ، لكى أذهب إليها فورًا ، ونتزوج مهما كانت المصاعب والمشاق التى تنتظرنا .

لكنها لم ترسل بأى رد .. بل لم تعر رسالتى أى اهتمام .. وتزوجت من (كامل المطراوى) فى اليوم التالى لرسالتى .. لترحل معه عن البلدة فى اليوم الذى يليه .. وجاء هذا ليكون طعنة فى الصميم .

إذن كيف تأتى اليوم ، لتدعى أننى أنا الذى كنت مذنبًا ؟

وكيف يمكنها أن تلوى الحقائق هكذا ؟

وفى تلك اللحظة سمع زوجته وهى تنادى بصوت عال قائلة :

ـ (مجدى) .. ألا تسمعنى ؟

نظر إليها وهو مازال غارقًا فى شروده قائلا :

ـ هل تنادينى ؟

قالت له وهى غير مستريحة لمظهره :

ـ عدة مرات .. لكنك لم تسمعنى .. ويبدو أنك كنت شاردًا للغاية .

سعل قائلاً :

ـ آه .. نعم .. أنا آسف .

ـ هيا .. لقد أعددت لك الإفطار .

ـ فى الحقيقة لا أشعر بأية رغبة فى تناول الطعام ..

سأذهب إلى المزرعة أولا .. وإذا وجدت لدى شهية سأتناول أى شىء .

راقبته زوجته وهو ينصرف .. قائلة لنفسها ، وقد تملكتها الهواجس :

ـ ترى يا (مجدى) .. ما الذى يشغل أفكارك ، ويجعلك شاردًا هكذا ؟

★ ★ ★

توجهت الخادمة إلى حجرة سيدتها قائلة :

ـ ست (ميرفت) .. الحاج (منصور) جاء يطلب مقابلتك .

قالت (ميرفت) بضيق :

ـ (منصور العدوى) .. ماذا يريد ثانية ؟

تحدثت إلى خادمتها قائلة :

ـ حسن .. أعدى له الشاى .. وأنا سآتى إليه .

توجهت إليه حيث كان جالسًا فى الردهة لتصافحه قائلة :

ـ أهلاً حاج (منصور) .. تفضل .

صافحها باستخفاف قائلا :

ـ ست (ميرفت) .. ماذا فعلت بشأن الموضوع الذى تحادثنا فيه من قبل ؟

- أى موضوع ؟

- الأرض .

- مرة أخرى يا حاج (منصور) .. أظن أننا قد حسمنا هذا الموضوع من قبل .

سألها بسماجة قائلاً :

- لماذا ؟

قالت له وفى عينيها نظرة استنكار لسؤاله :

- لماذا ؟ لأننى حرّة فى أرضى .. أبيعها أو أحتفظ بها .

قال لها بغلظة :

- أرضك .. ومنذ متى كنت تملكين أرضًا يا بنت (عفيفى) ؟

تبدلت ملامحها ، وقد فوجئت بهذا الأسلوب الفظ الذى يحادثها به .

فقالت له بانفعال :

- كيف تجرؤ على التحدث إلىّ هكذا ؟

قال لها دون أن يأبه لانفعالها :

- اسمعى يا بنت الناس .. هذه الأرض لا تمتلكيها ..

إنها من حقى وأنا مصمم على أن أشتريها .. احمدى الله على أننى لم ألجأ حتى الآن لأى أسلوب آخر معك .. وأنا أسمع أشياء تحط من كرامة ابن عمتى بعد موته .. ومن كرامتنا جميعًا .. وأحاول أن أصم أذنى عما أسمعه .

هبّت واقفة وهى تقاطعه قائلة بانفعال يمتزج بالدهشة :

- ما هذا الهراء الذى تقوله .. ما هذا الذى تسمعه ويحط من كرامة ابن عمتك ومن كرامتكم ؟

أجابها قائلاً :

- حكاية لقاءاتك مع حبيبك القديم ، وسفركما معًا إلى المدينة .

ومن يدرى إلى أين تذهبان أيضًا ؟

صاحت قائلة وهى تشير إلى الباب :

- اخرج من هنا ! اخرج من هذا المنزل فورًا .

نهض قائلاً :

- ولو أنك لا تملكين طردى من هذا المنزل .. لأنه منزل ابن عمتى قبل أن يكون منزلك .. إلا أننى سأقصر الشر وأخرج الآن .

واستطرد قائلاً وهو يفتح الباب :

ـ لكن ، ليكن فى علمك ، أننى لن أسمح بأن تتصرفى أى تصرفات أخرى ، تحط من كرامتنا وشرفنا وسط البلد ، أو تسىء لابن عمتى بعد رحيله .

ومن الأفضل لك أن تبيعى هذه الأرض والمنزل ، وترحلى عن البلد إلى غير رجعة ، وإلا فسيكون لى معك تصرف آخر .. وستضطريننى إلى أن ألجأ معك إلى أساليب أخرى أنت فى غنى عنها .

صاحت بعصبية :

ـ اخرج .. اخرج إلى الجحيم !

★ ★ ★



١٣ ـ لحظات الألم ..

نظرت (نهلة) إلى صديقتها بانزعاجٍ شديد قائلة :

ـ هل طردت (منصور العدوى) حقًا من منزلك ؟

أجابتها (ميرفت) قائلة :

ـ هذا أقل ما كان يتعين علىَّ أن أفعله .

تصورى هذا الإنسان الوقح .. إما أن أبيع له الأرض ، أو يتحدَّث إلىَّ بمنتهى السفالة ، محاولاً التلميح باتهامات تتضمَّن إساءة لسمعتى .

تنهَّدت (نهلة) قائلة :

ـ لا دخان بدون نار يا (ميرفت) .

نظرت إليها (ميرفت) باستنكار قائلة :

ـ ماذا تقولين ؟ أتحاولين أن تنضمى إليه فيما قاله ؟

ـ لقد قابلت (مجدى) .. أليس كذلك ؟

أولتها ظهرها حتى لا ترى الارتباك الواضح فى عينيها قائلة :

ـ نعم .

قالت (نهلة) بتصميم وهى تقترب منها :

ـ بل قابلته .. التقيتما وتحدثتما معًا .. وهذا فى حد ذاته يسىء إلى سمعتك فى بلدة ريفية كهذه .. وأنت تعرفين أقاويل الناس هنا .

ـ كل البلد كانت تعرف أننا نتقابل .. وكل البلد كانت تبارك حبنا .

ـ ذلك وأنتما خطيبان .. قبل أن يتزوج كل منكما من شخص آخر ، وتصبحين أنت أرملة .. ويصبح هو زوجًا لسيدة يكن لها أهل البلد كل تقدير واحترام .

ـ لكن لقاءنا كان عابرًا .. ولم نرتكب أى خطأ أستحق أن يحاسبنى عليه الناس هنا .

ـ أعرف ذلك .. لكن الناس هنا .. غير الناس فى المدينة .. هنا تحسب عليك تصرفاتك .

لذا يجب أن تسمعى كلامى .. بيعى هذه الأرض ، وتخلصى من ذلك المنزل ، ودعينا نغادر هذه البلدة .

قالت (ميرفت) بعناد :

ـ كلا .. لن أبيع الأرض .. ولن أجعل (منصور) وأمثاله يتغلبون علىّ .

ـ (منصور) .. لن يتركك لحالك .

ـ فليفعل ما يمكنه فعله .. إننى قادرة على التصدى له .

قالت لها (نهلة) متبرمة :

ـ ولماذا تسعين وراء المتاعب ؟ إنك لن تقدرى على تحمل مسئولية زراعة الأرض .. يكفيك المتجر الذى تمتلكينه فى (القاهرة) ، والمبلغ الذى ستحصلين عليه من بيع الأرض ، يمكن أن يؤمن لك حياة كريمة بقية عمرك .

ـ دعينا نغير هذا الموضوع .. إننى سأخرج للمرور على الأرض الآن .

ـ يا لك من فتاة عنيدة !

ـ هل تأتين معى ؟

ـ كلا .. اذهبى أنت فأنا متعبة .

وقفت (ميرفت) تتحدث مع المزارعين ، وهى تسير فى أرضها ، وقد أخذت تفحص التربة ، وتسأل عما تحتاج إليه من أسمدة ومواد عضوية .

وبعد ثلاث ساعات من الإرهاق والتعب .. أحست بأنها تكاد لا تقوى على الوقوف على قدميها .

فاستندت إلى جذع شجرة ، وهى تمسح حبات العرق التى تصببت على جبينها .

وما لبثت أن جلست على الأرض بجوار الشجرة ، وقد عاودتها الذكرى .

كان يومًا قائظ الحر كهذا .. وكانت منهكة من السير لساعات طويلة بصحبة (مجدى) .. حينما ألقت بجسدها على الأرض ، وقد أسندت ظهرها لشجرة كهذه .

وعندما رأى حبات العرق وهى تتقاطر على جبينها ، بادر بإخراج منديله ليمسحها ، وهو ينظر إليها بحنان وعاطفة فياضة .

أمسكت بيده وهى تنظر إليه بعينين تشعان حبًا قائلة :

ـ أحب لمسة الحنان هذه من يدك ، والتى لا تفوقها سوى تلك النظرة فى عينيك .

نظر إليها قائلاً :

ـ وأنا أحب تلك الابتسامة المشرقة على وجهك .

ـ (مجدى) .. إن حبى لك يفوق كل ما تخيلته عن الحب .

ابتسم قائلاً وهو يضع يده على وجنتيها :

ـ أما أنا فكنت أراك دائمًا فى أحلامى .. حتى قبل أن نلتقى .

أغمضت عينيها فى سعادة أطاحت بكل ما تشعر به من تعب ، وهى تتذكر تلك اللحظات الرائعة التى جمعت بينهما ، فى أسمى معانى الحب .

وفجأة انتفضت من استرخائها ، وهى تفتح عينيها المغمضتين ، على صوت تعرفه جيدًا ، وهو يناديها باسمها قائلاً :

ـ (ميرفت) .

كان صوته .

نظرت خلفها لتراه واقفًا بجوار الشجرة وهو ينظر إليها .

هبت واقفة فى الحال ، وقد اعتراها الارتباك قائلة :

ـ ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

قال لها بعد برهة من الصمت :

ـ كان لا بد أن أراك .

قالت له باضطراب :

ـ لقد قلت لك .....

قاطعها قائلا :

ـ لا يهم ما قلته .. أنا مصرٌ على أن أراك وأتحدث إليك هذه المرة . وبعد ذلك لن أعترض طريقك مطلقًا .

قالت له وهى تتلفت حولها :

ـ هل أنت مجنون ؟ تتحدث إلىّ هنا .. ماذا يقول هؤلاء الفلاحون لو رأوك وأنت تتحدث معى هنا ؟

قال لها بحزم :

ـ إذن سألقاك فى المكان الذى اعتدنا أن نلتقى فيه ، بجوار الساقية القديمة بعد نصف ساعة من الآن .

ـ من الأفضل ألا نلتقى .

ـ أؤكد لك أن هذا سيكون لقاءنا الأخير .. بعد ذلك لن أزعجك مطلقًا .

ـ وإذا لم آت ؟

ـ إذن لن يكون بيننا بعد الآن أى لقاء .. ولن أحاول أن أظهر فى طريقك ولا حتى مصادفة .

راقبته وهو يبتعد ، وقد اعترتها حالة من الاضطراب الشديد .

وما إن غاب عن عينيها ، حتى عادت لتستند إلى جذع الشجرة ، وقلبها يخفق بشدة .

ـ هل تذهب إليه ؟ أم لا ؟ وما الذى يريد أن يحادثها بشأنه ؟

لماذا يريد أن يجدد الأحزان ؟ وينكأ جراحًا قديمة ؟

ثم لو ذهبت إليه ، ربما رآها أحد .. ووقتها لن تسلم من الأقاويل .

هزت رأسها فى رفض قائلة لنفسها :

ـ كلا .. من الأفضل أن أنأى بنفسى عن ذلك .. لن أذهب إليه .

وهمت بالذهاب إلى منزلها .. لكنها توقفت بعد عدة خطوات وهى تقول لنفسها فى تردد :

ـ ولكن هل يعنى ذلك ألا أراه مرة أخرى ؟

ردت على نفسها قائلة :

ـ سيكون هذا أيضًا أفضل لك وله .. أليس هذا هو ما أردته ؟

تقدمت خطوتين أخريين فى طريقها إلى المنزل ، ثم عادت للتوقف من جديد قائلة لنفسها :

ـ ربما أراد أن يحدثنى فى شىء آخر لا صلة له بالماضى .. وربما أن هناك شيئًا مهمًا يحتاج إلى أن يقوله لى .

عادت لتردَ على نفسها قائلة :

ـ لماذا تحاولين خداع نفسك ؟ إنك تريدين أن تجدى لنفسك مبررًا يدفعك إلى الذهاب إليه .. أليس كذلك ؟

تقدمت عدة خطوات أخرى وهى تواصل طريقها إلى منزلها .

ثم توقفت فجأة ، قائلةً بانفعال :

ـ كلا .. سأذهب إليه .. وليكن ما يكون .

واستدارت فى طريقها إلى الساقية ، وهى تخطو بخطوات سريعة ، كما لو كانت تركض .. وكأنها تخشى أن تتراجع مرة أخرى عما قررته .. وما أملاه عليها قلبها .

تواردت على ذاكرتها طوال الطريق صور من الماضى .

تذكَرت مشاجراتها معه لإصراره على العمل مع (نجوى نجيب) ، والإشاعات التى تردَدت عنهما ، وعن توطد الصلة بينهما ، على نحو يتعدَى حدود العمل .

وتذكَرت ذلك اليوم الذى تشاجرا فيه ، على نحو أدى إلى وقوع خصام بينهما ، امتد لأكثر من شهر .

ـ قلت لك إننى لا أستريح لعملك مع هذه السيدة .

ـ ولكنى مضطر للعمل معها ؛ لأننى بحاجةَ للراتب الكبير الذى تمنحنى إياه .

ـ يمكنك أن تعمل فى أىَ مكان آخر .

ـ أين ؟ إننى منذ تخرجى من الجامعة ، لم أتمكن من العثور على أىَ عمل حقيقى فى أىَ مكان ، سوى لدى هذه السيدة التى تتحدثين عنها .

حتى سفرى للخارج ، لم يحقق لى شيئًا سوى الفشل ، واستنفاد كل ما ادخرته من نقود .

ثم إنها تدفع لى راتبًا لا يمكننى الحصول عليه فى أى مكان آخر .

ـ وهذا ما يجعلنى أتساءل .. لماذا ؟ لماذا تدفع لك هذا الراتب الكبير .

ـ لأننى أدير شئونها وأعمالها على أفضل وجه .

ـ إن امرأة مثلها ، لديها العديد من الرجال ، الذين لديهم الخبرة والقدرة على القيام بهذا العمل .

ـ ربما لأنها وجدت فىَ الثقة والأمانة التى تحتاج إليهما للاطمئنان على أموالها وأعمالها .

- الثقة والأمانة .. أم أنها معجبة بك .. وتعمل على إغرائك للزواج منها ؟

ابتسم (مجدى) قائلاً بسخرية :

- دعك من هذه الحماقة .. إننى أصغرها بثلاث سنوات .. ولا شىء يمكن أن يربطنى بها سوى العمل فقط .

ثم إنها تعرف أننى مرتبط بك .. وأننا سنتزوج .

- لكن الأقاويل ازدادت حولكما ، وأهالى البلدة يقولون إنها مغرمة بك .

- فليقولوا ما يشاءون .. المهم أنت .. يجب أن تثقى بى وبحبى لك .

- إذا كنت تحبنى حقيقة .. يجب عليك أن تترك العمل لدى هذه المرأة .

- وأبقى بلا عمل ؟! ومن أين آتى بالتزامات الزواج منك ، التى يتعين علىَّ أن أفى بها ؟ هل نسيت أننا مخطوبان منذ خمس سنوات .. ولم نستطع حتى أن نجمع ثمن شقة نسكن بها ؟

- هناك مجالات أخرى للعمل ، غير توليك لأعمال هذه السيدة .

- وأنا لا أستطيع أن أترك عملى لديها الآن .

قالت (ميرفت) بانفعال :

- إذن فكل ما يقال عنكما صحيح .

قال لها بانفعال مماثل :

- إذا كنت مصرةَ على أن تصدقيه .. إذن فهو صحيح .

- إذا كان الأمر كذلك ، فلننه هذا الارتباط القائم بيننا إذن .

- هل جننت ؟

- لقد تحدثنا فى هذا الأمر أكثر من مرة من قبل ، لكنك لا تقيم وزناً لمشاعرى . والآن عليك أن تختار .. إما أنا وإما هى .

قال لها بحسم :

- إننى لن أترك العمل لديها .

نزعت دبلة الخطبة من أصبعها ؛ لتضعها فى يده قائلة :

- وأنا لا أريد الارتباط برجل لا يحترم مشاعرى وكرامتى .

- إننى لن أسامحك على تصرفك هذا .

ـ وأنا لن أعيد هذه الدبلة إلى اصبعى مرة أخرى .. ما لم تحسم هذا الأمر ، وتترك العمل لدى هذه السيدة .

توقفت (ميرفت) للحظة ، وهى تحاول أن تبعد هذه الذكريات عن مخيلتها ، لكنها لم تتمكن من ذلك .. فقد ظلت الصور تتوارد على ذاكرتها بسرعة غريبة .

كان هذا الشجار هو العامل الرئيسى فى إفساد العلاقة بينهما ، ودفعها إلى الهاوية .

وكان (كامل المطراوى) قد بدأ يتحدَث صراحة ، عن رغبته فى الزواج منها ، ويحاول أن يكسب ود أبيها وأسرتها ، بإغداقه عليهم بالهدايا والمنح ، ويغريهم بثرائه .. وما يمكن أن يحققه لابنتهم ، من حياة ومستقبل لا تحلم بهما أيَة فتاة أخرى فى البلدة .

ولا يمكنها أن تنكر ، أنها قد بدأت تستجيب لإغرائه تدريجيًا .. خاصة فى ظل الظروف التى كانت تمر بها ، وانقطاع الصلة بينها وبين (مجدى) ، وضغط أهلها عليها للزواج منه .

لكنها ظلت متردَدة .. برغم أنها كانت يائسة .. وظل لديها الأمل فى أن الأمور ستعود إلى ما كانت عليه بينها وبين (مجدى) .. وأن حبهما سيعود إلى

سابق عهده .. خاصة وأنها لم تتصور نفسها زوجة لغيره .

واستمر (كامل) يلح عليها ويحاصرها .. بعاطفته القوية نحوها ، وحبه الشديد لها .. وكل الوعود والأمانى التى ظل يردَدها على أذنيها ، لكن قلبها ظل متمسكًا بـ (مجدى) .

قررت أن تمنحه فرصة أخيرة ، قبل أن تتخذ قرارًا بشأن زواجها من (كامل) .

أرسلت إليه رسالة شفوية مع صديقتها (نهلة) .. تدعوه فيها للقائها ، وتخبره فيها أنها مستعدة لفتح صفحة جديدة معه . وإلا فإنها ستضطر للزواج من (كامل) .

لكن (نهلة) عادت لتخبرها بأنه يرجو لها حياة سعيدة مع (كامل المطراوى) ، وأنه قد أخرجها من حياته تمامًا .. ولم يعد مستعدًا لأن يربط مصيره بمصيرها مرة أخرى .

توقفت لدى هذه الذكرى المريرة .. وهى تغمض عينيها من فرط إحساسها بالألم الذى أحسَت به فى تلك اللحظة التى أخبرتها فيها صديقتها بذلك .. والذى

عاودها مرة أخرى مع توارد الذكريات على عقلها وأفكارها .

وهكذا تزوجت من (كامل المطراوى) فى اليوم التالى ، وقررت أن تغادر هذه البلدة بلا عودة ، بعد الجرح الأليم الذى أصابها .. وقد استجاب (كامل) لذلك على الفور .. خاصة وأنه كان لا يريد أن يكون هناك مجال لأىّ لقاء آخر ، أو صلة تجمع بينها وبين خطيبها السابق .





١٤ - وأشرق الحب ..

جلس (مجدى) بجوار الساقية القديمة فى انتظار حضورها ، وهو يتساءل : ترى .. هل ستأتى أم لا ؟

إنه بحاجة لأن يراها ، ويتحدث إليها مرة أخرى ؟ فهو لم يستطع أن يتخلص من حيرته ، منذ أن التقى بها على رصيف القطار ، ودار بينهما ذلك الحديث ، الذى أوضحت فيه ، أنها كانت لاتزال متمسكة بحبها له حتى اللحظة الأخيرة .

إذن .. فلماذا حدث ما حدث ؟ لماذا تزوجت غيره ؟ ولماذا رحلت عن البلدة ؟

وتواردت فى ذهنه هو الآخر صور من ذكريات الماضى .

تذكر أحلامهما العريضة .. والحب الكبير الذى جمع بينهما ، والذى نسجت خيوطه الأولى وهما فى سن مبكرة .. منذ أن التقى بها فى هذا المكان بجوار الساقية .

قبض بيده على حفنة من التراب ، وهو يتذكر ذلك اليوم الذى تزوجت فيه من (كامل المطراوى) ، وكيف وقف متواريًا وراء إحدى الأشجار ، يرقب لحظة زفافها ، والعبرات تنهمر من عينيه لأول مرة فى حياته .

كانت هذه اللحظة هى أقسى لحظة عاشها فى عمره .

يومها عاد ليقضى ليلة أليمة ، وقد بدا له أنه قد فقد كل الآمال والأحلام ، وأن قلبه تمزق بلا رحمة ولا هوادة .

وفقد الثقة بكل المشاعر العظيمة ، وكل معانى الحب والوفاء والإخلاص .

كان زواج (ميرفت) فى هذه الليلة بمثابة صدمة قوية زلزلت حياته بأسرها .

وبعدها بأسبوع ، تزوج من (نجوى) ، ورضخ لكل إغراءاتها السابقة من أجل الزواج منه .

فمادامت (ميرفت) قد ضحت بحبهما الكبير ، من أجل الزواج من رجل ثرى ، فما الذى يحول دون أن يفعل مثلها ؟ وبذلك تتساوى الأمور .

إن (نجوى) تستطيع أن تحقق له كل طموحاته المادية السابقة ، والتى أراد أن يضحى بها من أجل حبه لـ (ميرفت) .. كما أنها تحبه .. وإذا كان لم يستطع أن يبادلها هذا الحب .. فهذا لا يهم كثيرًا .

فما قيمة الحب الذى عاشه مع (ميرفت).. وإلى أين انتهى هذا الحب ؟

إنه لم يجلب له فى النهاية سوى الألم والشقاء .. وعليه أن يتعلم الدرس .

وهكذا تزوج من (نجوى) ، التى منحته المال والثراء .. وبذلت كل الجهد والحب لكى تسعده .. لكنها لم تستطع أن تنال قلبه ، قلبه الذى لم يحب سوى الإنسانة التى طعنته .. وظل برغم جرحه لا ينبض لسواها .

وها هو ذا قلبه يخفق بشدة ، وهو يراها مقبلة عليه .. وقد استجابت لرغبته فى لقائها .

أحس فى هذه اللحظة وكأن الماضى يعود إليه من جديد .. وها هى ذى (ميرفت) تأتى للقائه فى نفس المكان ، الذى اعتادا أن يلتقيا فيه من قبل .

وقد بدت جميلة ومشرقة كما اعتاد أن يراها من قبل .

سألته قائلة :

ـ هأنذا قد جئت .. ماذا تريد ؟

ـ أيمكننا الجلوس قليلاً ؟

ـ (مجدى) .. إنك لا تقدر ظروفى ولا ظروفك .. هل تدرك معنى أن يرانا أحد ، ونحن جالسان معًا هنا .

ـ أريد أن أعرف شيئًا واحدًا .. لماذا تزوجت من (كامل المطراوى) ؟

نظرت إليه فى صمت لبرهة من الوقت .. قبل أن تنطق قائلة :

ـ هل جئت بى إلى هنا ؛ لتسألنى هذا السؤال ؟

ـ إن هذا السؤال وأسئلة أخرى كثيرة ، ظلت تلح على تفكيرى منذ رحيلك .. وازداد إلحاحها بعد لقائنا الأخير فى المدينة .. لماذا ضحيت بحبنا برغم المشاعر الكبيرة ، التى كانت تجمع بيننا ؟ وهل كانت هذه المشاعر حقيقية أم مزيفة ؟

ـ لا أجد ما يدعوك إلى الحيرة .. فلابد أنك ستجد الإجابة واضحة لديك .. فأنت تعرف جيدًا ، أنك أنت

الذى دفعتنى إلى الابتعاد عنك ، والزواج من (كامل المطراوى) .. حينما تخليت عنى وقررت أن تبعدنى عن حياتك .

ـ أنا .. لقد أرسلت إليك رسالة ، أوضح لك فيها ، أننى مستعد للتخلى عن كل شىء من أجل الحفاظ على حبنا .. وأننى سأترك العمل لدى (نجوى) وألتحق بعمل آخر .. كما طلبت منك أن نتزوج فى ح وقت ، وأننى لم أعد مستعدًا للابتعاد عنك أكثر من ذلك .

نظرت إليه بدهشة ، وهى لا تصدقه قائلة :

ـ متى أرسلت هذه الرسالة ؟

ـ أرسلتها مع (نهلة) قبل زواجك بأربعة أيام .. وطلبت منها أن توصلها إليك ، وأن تحمل لى الرد فى أقرب وقت ، حتى أنهى كل ارتباطاتى فى العمل مع (نجوى) .. وقبل أن أسافر معها إلى المنصورة ، لقضاء بعض الأعمال هناك .

ازدادت دهشتها وهى تقول له :

ـ لابد أنك تكذب .. فـ (نهلة) لم تخبرنى بشىء كهذا مطلقًا ولم تعطنى أية رسالة . والصحيح هو أننى

أنا التى أرسلتها لمقابلتك ، قبل زواجى بيوم واحد ، وطلبت منها أن تخبرك بالضغوط التى تمارس علىَّ ، من أجل الزواج من (كامل) .. وأننى لن أرضخ لهذه الضغوط ، لأننى أحبك ومازلت متمسكة بك ، ومازال لدى الأمل فى أن نعود لبعضنا ، ونمنح حبنا فرصة أخرى .

وطلبت منك أن نلتقى ، ونتخلى عن هذا الخصام ، الذى لم أعد أقوى على تحمله .

فأرسلت لى معها تقول ، إنك قد أخرجتنى من حياتك تمامًا ، ولم تعد مستعدًا للارتباط بى .. وإنك ترجو لى حياة سعيدة مع شخص آخر .

حدق فيها قائلاً بدهشة :

ـ أنا !! لم يحدث شىء كهذا مطلقًا ، ولم تخبرنى (نهلة) بأى شىء من ذلك .. لقد كنت فى انتظار ردك على رسالتى .. لكننى لم أتلق أى رد ، وعندما عدت من المنصورة ، ظللت أبحث عن (نهلة) لأعرف مصير الرسالة التى سلمتها إليها ، لكننى لم أتمكن من العثور عليها .

وفى نفس اليوم ، عرفت أنك ستتزوجين من (كامل المطراوى) ، واعتبرت أن هذا هو ردك الصريح على

رسالتى .. بل ظننت أنك لم تول هذه الرسالة أى اهتمام .

وأحسست بالأسى والغضب ؛ لأنك لم تحاولى حتى أن تردى عليها .

تراجعت (ميرفت) إلى الوراء ، وهى تنظر إليه فى ذهول قائلة :

ـ إذا كان هذا صحيحًا .. فإننا نكون بذلك قد تعرضنا لخدعة غادرة .

★ ★ ★

قالت لها بانفعال :

ـ لماذا فعلت ذلك ؟ لماذا رفضت أن تطلعينى على الرسالة التى أرسلها لى (مجدى) ؟ ولماذا لم تخبريه بالرسالة التى أردتُ أن توصليها إليه ؟

بكت (نهلة) قائلة :

ـ سامحينى يا (ميرفت) .

قالت لها (ميرفت) وهى تنظر إليها غير مصدقة :

ـ أسامحك !! لقد كنت دائمًا الصديقة المقربة إلىَّ .. بل كنت أقرب إنسانة لدى .. منحتك ثقتى ، وأطلعتك

على أدق أسرارى .. وصممت على ألا تفارقينى حتى بعد زواجى .

ـ لقد تمكن الحقد والغيرة من قلبى فى تلك الفترة ، وجعلانى أقدم على ما أقدمت عليه .

نظرت إليها (ميرفت) بدهشة قائلة :

ـ الحقد والغيرة ؟!

ـ نعم .. لقد عشت دائمًا محرومة .. ولدت لأب فقير لا يجد قوت يومه ، ولا ألقى منه سوى القسوة والشراسة ، وأم مريضة لا تجد حتى ثمن علاجها ..

وعندما تصادقنا ، ظننت أن ظروفنا متماثلة .. لكنك كنت دائمًا مميزة عنى .

متميزة بجمالك .. ومتميزة بالظروف التى كانت أفضل نسبيًا من الظروف التى كنت أعيش فى ظلها .. ومتميزة بحب الآخرين لك .. وبحب (مجدى) .. الشخص الوحيد الذى أحببته .

ازدادت دهشتها وهى تقول لها :

ـ (مجدى) !! هل كنت تحبين (مجدى) ؟

ـ نعم .. أحببته من قبلك ، لكنك لم تمنحينى الفرصة للتعبير عن هذا الحب .. فقد رآك وأحبك .. ولم أكن

لأستطيع أن أظهر مشاعرى نحوه مطلقًا .. خاصة وأنا أرى هذا الحب بينكما يكبر وينمو يومًا بعد الآخر .

ولأننى لم أكن لأملك الشجاعة مطلقًا للبوح بهذا الحب ، فقد احتبسته بداخلى .

وكنت أتعذب دائمًا ، وأنا أسمع وأرى تلك العاطفة القوية التى نشأت بينكما ، واهتمامه الشديد بك ، دون أن يولينى أى اهتمام .

حتى عندما كان يلتقى بك وأنا معك .. كان يشعرنى دائمًا وكأننى غير موجودة .. حتى أنت كنت تنسين وجودى تمامًا معكما .. ولا تأبهين لى سواء ظللت واقفة انتظرك ، أم أتركك لأنصرف ، وأنا أتلظى بمشاعر الإهمال والألم .. حتى كرهتك وكرهته ، وكرهت هذه البلدة بمن فيها فى ذلك الوقت .

ـ لم أكن أعرف أى شىء عن مشاعرك هذه ؟

ـ ولم تكونى لتعرفيها .. وأنت محاطة بكل هذا الحب والاهتمام .

لم تجربى معنى أن تحبى ، وتجدى أن من تحبينه لا يوليك أى اهتمام .. بل ولا يشعر بوجودك .

لم تجربى أن تعيشى فى حرمان دائم .. وأن تقاسى من هذا الحرمان .. حرمان من حياة كريمة .. من عطف أسرى .. من حقك فى الحب والزواج ممن تحبينه .

ـ لقد قدمت لك صداقتى .. وكنت بمثابة الأخت ، ولم أضن عليك بأىّ شىء تطلبينه .

قالت لها بمرارة :

ـ صداقتك .. لقد كنت أعمل لديك .. وكنت بمثابة الوصيفة لك .

قالت (ميرفت) وهى لا تصدق أن تنطوى نفس صديقتها ، على كل هذا القدر من الغيرة والمرارة .

ـ إننى لم أحاول مطلقًا أن أجعلك تشعرين بذلك .. بل إننى لم أتصرف نحوك أبدًا ، على أنك تعملين لدىّ ، أو أنظر إليك كما لو كنت وصيفة لى كما تقولين .

كما أن كل هذا لا يبرر ما فعلته ، وما تسببت فيه لشخصين متحابين من شقاء وألم .

لا يوجد أى شىء يمكن أن يبرر أن تتسببى فى تحطيم قلبين بمثل هذا الغدر والقسوة .

ـ لقد أتيحت لكل منكما الفرصة ، لكى تتزوجا من شخصين ثريين ما زلتما ترفلان فى ثرائهما ، وتنعمان بما قدماه لكما حتى الآن .. وفى هذا ما يخفف من ذنبى نحوكما ..

ـ أتظنين أنك بهذا تستطيعين خداع ضميرك ؟ من قال لك إن الثروة والرفاهية هى كل ما كنا نحتاج إليه حقًا ؟ وكيف يمكنك أن توهمى نفسك ، بأنك قد فعلت ذلك لصالحنا ، وأنت تتحدثين منذ قليل عن الحقد والغيرة ؟

إن حقدك وغيرتك هما اللذان جعلاك تخونين الأمانة ، التى حمّلك إياها كل منا ، وتتسببين فى إبعاد كل منا عن الآخر .. لأنك كنت ناقمة على هذا الحب ، وتتمنين من أعماقك أن ينتهى ويتحطم ..

لقد تزوج كل منا فى لحظة يأس ، تسببت أنت فى دفعه إليها .

تهالكت (نهلة) فوق أحد المقاعد قائلة :

ـ كنت أعرف ذلك .. وصدقينى لقد دفعت أنا أيضًا ثمن فعلتى .. دفعته من عذاب ضميرى .. وإحساسى

الدائم بالذنب ، حتى إننى لم أرد أن أعود إلى هذه البلدة لكى لا تذكرنى بجرمى .

لكننى لم أكن الوحيدة التى شاركت فى هذا الجرم .. بل شاركنى فيه زوجك وزوجته أيضًا .

نظرت إليها (ميرفت) فى ذهول :

ـ زوجى ، وزوجته .. ماذا تعنين بذلك ؟

ـ لقد علم زوجك بأمر الرسالة التى أرسلها معى (مجدى) ، قبل زواجه منك . يمكنك أن تقولى ، إننى تعمدت إطلاعه عليها .

واتفق معى على ألا أطلعك عليها مطلقًا ، فى مقابل مبلغ من المال .

وفى الحقيقة كان لدى الاستعداد لذلك حتى بدون هذا المقابل .

لكن لأننى وجدت نفسى ، وقد سقطت فى مستنقع الخيانة حتى النهاية ، لم أجد مانعًا من أن أعرض هذه الرسالة على (نجوى) أيضًا ، وقد كنت أعلم بما تحمله من حب لـ (مجدى) ، ووجدتها فرصة للحصول على المزيد من المال .

وبالفعل .. كانت (نجوى) سخية معى ومنحتنى

مبلغًا طيبًا فى مقابل أن أسلمها هذه الرسالة ، وألا أطلع عليها (مجدى) أبدًا .. وأيضًا فى مقابل ألا أخبره برسالتك الشفوية إليه .

واتفقت مع (كامل) على أن يسرع بإنهاء إجراءات الزواج ، وأن تتعمد هى إطالة فترة بقائها مع (مجدى) فى المنصورة بحجة العمل . حتى يتم زواجكما .. ولا يجد أمامه سوى الزواج منها ، بعد أن تصبح بلا منافس حقيقى .

ازداد ذهول (ميرفت) وهى تقول :

ـ يا لها من مؤامرة دنيئة ! شاركتم فيها جميعًا لتحطيم قلبين كل ذنبهما أنهما تحابا ، ولم يرتكب أحدهما فى حقكم أىّ ذنب .

وتهاوت فوق أحد المقاعد وهى تبكى بحرارة .

★ ★ ★

جلست (ميرفت) فوق إحدى الصخور المطلة على البحر ، بأحد شواطئ الإسكندرية .

وقد أخذت ترقب الأمواج ، وفى عينيها نظرة شاردة وحزينة ، حينما جاء شخص ليجلس بجوارها ، وهو يهمس لها قائلًا :

ـ لقد آن الأوان لنتخلص من أحزاننا .

التفتت إليه ، وهى تحدق فيه بذهول قائلة :

ـ (مجدى) .. ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

نظر إليها بعينين تتدفقان حبًا وحنانًا ، كما اعتاد أن ينظر إليها فى الماضى قائلاً :

ـ حبى لك .

قالت له ونبرة حزينة تبدو واضحة فى صوتها :

ـ وكيف عرفت أننى هنا ؟

ـ أخبرتنى (نهلة) بذلك .

ـ (نهلة) ؟!

ـ نعم .. فقد حاولت أن تكفر بعض الشىء عن ذنبها فى حقنا .

ـ إذن .. فقد أخبرتك بكل شىء .

ـ نعم .

ـ وعرفت أننى لم أخن حبك ، ولم أضح به كما اتهمتنى .

ـ وأنا أيضًا لم أخن هذا الحب ، ولم أكن لأضحى به مطلقًا .. لقد كنا نحن الاثنان ضحية للحقد والغيرة والطمع .

ـ على أية حال .. لقد فات الأوان لإصلاح ما تهدم .

ـ بل آن الأوان لإصلاحه .

ـ وزوجتك ؟!

ـ لم أكن لأبقى عليها ، بعد أن عرفت بمشاركتها فى تلك المؤامرة الدنيئة .. لقد طلقتها .

ـ لكنها كانت تحبك .

ـ الحب الذى يُبنى على الغش والتدليس والخداع .. والعبث بعواطف الآخرين ، لا يستحق أن يسمى حبًا .

ـ (مجدى) !

ـ لابد أن نتزوج يا (ميرفت) .. فمازال كل منا يحب الآخر .. ولم يستطع أى شىء أن ينتزع من قلبينا هذا الحب ..

ـ لكنى أصبحت مفلسة ، فقد اكتشفت أخيرًا أن (كامل) كان مدينًا بمبلغ كبير لأحد البنوك .. ولم يكن قد أخبرنى بشىء عن ذلك .

وكل ما تركه لا يكاد يكفى إلا لتسديد قيمة هذا الدين ..

ـ لقد عرفت بذلك .

وابتسم وهو يستطرد قائلاً :

ـ وأنا أيضًا أصبحت مفلسًا مثلك .. فقد جردتنى (نجوى) من كل شىء ، بعد أن طلقتها .. وكنت سعيدًا وأنا أتخلى لها عن كل شىء وأتحرر من كل القيود التى استخدمتها لتكبلنى إليها .. بعد أن ظللت وقتًا طويلاً مثقلاً بهذه القيود .

ـ وطموحاتك القديمة .. هل تتخلى عنها ؟

ـ سنحققها معًا .. سنتزوج ونعمل ونكافح ، حتى نحقق كل ما نتمناه معًا . المهم ألا يبعد أحدنا عن الآخر مرة أخرى .. وألا نسمح لأى أحد بأن يسلبنا حبنا الكبير .. فلا يمكن لأحدنا أن يحيا بدون الآخر ، مهما كان نوع الحياة التى يحياها .

ومدَ لها يده .. فنظرت إليها هنيهةَ ، قبل أن تمدَ له يدها هى الأخرى ، وتتشابك أصابعهما .

ثم ما لبث أن ساعدها على النهوض ليسيرا فوق الصخرة ، وقد عاد حبهما ليشرق من جديد .

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

زهور

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب
أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

المؤلف



أ . شريف شوقى

أشواك الحب

كان (مجدى) و (ميرفت) ضحيتين لأحقاد وغيرة وأطماع الآخرين .. واستطاعت هذه الأحقاد والأطماع أن تبعدهما .. وتحرمهما من حبهما سنوات طويلة .. إلى أن تكشفت حقيقة المؤامرة التى تسببت فى تحطيم هذا الحب .

74

الثمن فى مصر
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم